حكايات الحيوان فى شعر شوقى

د.أحمد محمد عوين
أستاذ الأدب والنقد المساعد
كلية التربية بالعريش
جامعة قناة السويس

الناشر
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
تليفاكس : ٥٢٧٤٤٣٨ – الإسكندرية

الناشــــــر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
العنــــــوان: بلوك ٣ ش ملك حفنى قبلى السكة الحديد – مساكن دربالة – فيكتوريا – الإسكندرية.
تليفــــاكس: ٥٢٧٤٤٣٨/ ٠٠٢٠٣ (٢ خط – موبايل/ ٠١٠١٢٩٣٢٣٣
الرقم البريدى: ٢١٤١١ – الإسكندرية – جمهورية مصر العربية.

E- mail

dwdpress@yahoo.com
dwdpress@biznas.com

Website

http:/ www.dwdpress.com

عنوان الكتاب : حكايات الحيوان فى شعر شوقى
المؤلـــف: د. أحمد عوين
رقـم الإيـداع: ١٠٣٩٨ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولى: 4 - 471 – 327 – 977

مقـدمة

يعـد " أحمـد شـوقى " مـن أهـم شـعراء العربـية الذيـن احـتل الحـيوان والطـير فـى شـعرهم مسـاحات واسـعة ، يسـتلهمه ويأتـنس بـه ويوظفـه بـل يسـتنطقه ويحكـى بلسـانه مـا شـاء مـن حكايـات ، راميـا مـن ورائهـا إلى أبعـد مـن مجـرد ذلـك الاسـتنطاق، وقـد بـرع " شـوقى " فـى ذلك الفن عـلى الـرغم مـن أنـه قـد ثبـت لـدى الدارسـين أنـه قـد كـان مسبوقا إلى ذلك بعدد كبير من الشعراء والكتاب على السواء .

لكـن " شـوقى " يخـتلف عـن سـابقيه فـى أن حكاياتـه عـلى لسـان الحـيوان بـل شـعره الـذى يكـون الحـيوان محـوره الرئـيس فـيه يمـتاز بخصيصتين أساسيتين ؛

أولاهمـا : أن هـذا الشـعر وإن كـان يمكـن ضـمه إلى ديـوان الأطفـال فإنـه يصـلح للكـبار أيضـا أو عـلى أقـل الـتقديرات يخاطـب طفـلا راقـيا أو يسـعى إلى ترقيـته بمـا حـواه مـن حكـم وتجـارب ونظـرات فلسـفية قائمـة عـلى هـذا التجريـب ، ملبسـا ذلـك كلـه قالـبا لغويـا سـهلا قريـب المـنال وإطـارا فنـيا بسـيطا لا تعقـيد فـيه وموسـيقى غنـية عذبـة تناسـب خفة الطير والحيوان .

وثانيـتهما : شـيوع روح السـخر والـتهكم بـل روح الفكاهـة والمداعـبة الـتى تغلـف هـذه القصـص والحكايـات فـتؤثر فـى نفـس المـتلقى وتنبئ عن روح " شوقى " الشاعر الساخر .

لـذا يحـاول الباحـث دراسـة شـعر " شـوقى " الـذى يتـناول فـيه الحـيوان والطـير فـى شـكل حكايـات بألسـنتها وحـوارات تـدور بيـنها، يدرسـه دراسـة موضـوعية وفنـية تحليلـية مشـيرا إلى العلاقـة الوثـيقة بـين هـذا الجـنس مـن شـعر الأطفـال مـن جهـة والكـبار مـن جهـة أخـرى فـى

محاولته بث الحكم والمواعظ التى يبتغى نشرها ، مؤكدا شيوع روح السخرية والتهكم فى مجموع قصائده ومقطوعاته .

إن هذا الكتاب قبل أن يكون منشورا كنت قد تقدمت ببعضه بحثا مرجعيا للجنة الدائمة لترقية الأساتذة المساعدين التى شرفتنى بإجازة البحث ، لذا آثرت أن ينشر لأضعه بين أيدى تلامذتى ، ورأيت - حتى تتم الإفادة - أن أزيد عليه عددا من النصوص والمناقشات التى تمنح الدراسة طابعا تعليميا ميسرا :

فأقمته على عدد من المباحث ؛ بدأتها بنبذة ترسم حياة " شوقى " وتحدد خطوط شعره الأساسية ... وختمتها بمجموعة من نصوص قصائده التى أشرت إليها فى الحاشية أو اجتزأت منها أبياتا فى ثنايا الكتاب فآثرت أن تأتى بنصها الكامل فى الملحق المذكور لتعم الفائدة .

والله المستعان

د . أحمد محمد عوين

العريش

يناير ٢٠٠٥م

- ١ -

أحمد شوقي حياته وشعره

١٢٨٥ - ١٣٥١ هـ / ١٨٦٨ - ١٩٣٢ م

أحمد بن علي بن أحمد شوقي. أشهر شعراء العصر الأخير[1] ، يلقب بأمير الشعراء ، وشاعر الإسلام ، وشاعر الشرق والغرب ، كان مولده ووفاته بالقاهرة ، كتب عن نفسه : (سمعت أبي يردّ أصلنا إلى الأكراد فالعرب) ، كان جده من الأكراد جاء إلى مصر ـ شابا ـ بتوصية أحد الولاة الأتراك إلى " محمد على الكبير " الذى ألحقه بقصره . وقد بدد والده " على شوقى " ثروته فكفلته جدته لأمه التى أدخلته مدرسة " الشيخ صالح " الابتدائية وهو فى الخامسة من عمره .

وقد نشأ " شوقى " في ظل البيت المالك بمصر، وتتلمذ على يد الشيخ " محمد البسيونى " شاعر الخديوى ، وكان قد أخذ ينبوع الشعر يتفجر على لسان " شوقى " فأعجب به أستاذه ، وكان هو الآخر يجيد نظم الشعر إلا أنه لم يكن يفهم منه إلا مديح الخديوى توفيق فى المواسم والأعياد فدفع تلميذه فى هذا الاتجاه ، وتعلم في بعض المدارس الحكومية ، وفى عام ١٨٨٣م التحق بمدرسة الحقوق ـ بالرغم من معارضة ناظرها لصغر سنه ـ وذلك بوساطة القصر الذى كانت تعمل فيه جدته وصيفة .

قضى " شوقى " بمدرسة الحقوق عامين ، ثم التحق بقسم الترجمة وتخرج فيه سنة ١٨٨٧م ، ثم أرسله الخديوي توفيق سنة ١٨٨٧م إلى فرنسا ، فتابع دراسة الحقوق في " مونبليه " لعامين ثم عامين آخرين فى باريس وزار خلال هذه الفترة كثيرا من الأقاليم الفرنسية و" إنجلترا " و" الجزائر" ، واطلع على الأدب الفرنسي ، وأقبل على قراءة " فيكتور هيجو " و" دى موسيه " و" لافونتين " و"لامرتين" وترجم للأخير قصيدة البحيرة شعرا .

وعـاد إلى مصـر سـنة ١٨٩١م فعـين رئيسـاً للقـلم الإفـرنجي في ديـوان الخديـوي " عـباس حـلمي " ، ثـم نـدب سـنة ١٨٩٦م لتمثـيل الحكومـة المصـرية في مؤتمـر المستشـرقين بــ " جينـيف " ، لكـن الأمـر لم يـدم لــ " شـوقى " بوصـفه واحـدا مـن رجـالات الدولـة ، ففـى عـام ١٩١٥م نفـى مـن مصـر بوصـفه محسـوبا علـى الخديـوى " عـباس حـلمى الـثانى " ، لكـنه لم يسـكت بـل نظـم قصـيدة تحـدث فـيها عـن الحمايـة الـتى أعلنـتها إنجلـترا علـى مصـر وقـال فـيها " إن الـرواية لم تـتم فصـولا " فـنفاه الإنجليز واخـتار " إسـبانيا " لإقامـته حـتى أذن لــه الملـك " فـؤاد " فـى العـودة فـى نهايـة سـنة ١٩١٩م الـتى قامـت فـيها ثـورة الشـعب فسـجل أحداثهـا ، وتأجج الوطنية فى قصائد عصماء .

ويـبدو هـذا المـنحى بجـلاء حـتى فـى رثائـه " سـعد زغلـول" زعـيم تلك الثورة حيث يقول :

وَلَـدَ الـثورَةَ سَـعدٌ حُـرَّةً ... بِحَـيائي مـاجِدٍ حُـرٍّ نَماهـا
مـا تَمَـنّى غَيرُها نَسـلاً وَمَـن ... يَلِـدِ الزَهـراءَ يَـزهَد في سِـواها
سـالَتِ الغابَـةُ مِـن أَشـبالِها ... بَـ[illegible] عَينَـيهِ وَمـاجَـت بِلَـباهـا
بـارَكَ اللَـهُ لَهـا في فَـرعِها ... وَقَضـى الخَـيرَ لِمِصـرٍ في جَـناها
أَوَلَـم يَكتُـب لَهـا دُسـتورَها ... بِـالدَمِ الحُـرِّ وَيَـرفَعُ مُنـتَداها
قَـد كَتَبـناها فَكـانَـت صـورَةً ... صَـدرُها حَـقٌّ وَحَـقٌّ مُنـتَهاها
رَقَـدَ الـثائِرُ إِلّـا ثَـورَةً ... في سَـبيلِ الحَـقِّ لَـم تَخمُـد جُذاها
قَـد تَوَلّاهـا صَـبِيّاً فَكَـوَت ... راحَتَـيهِ وَفَتِـيّاً فَـرعاهـا
جـالَ فـيها قَلَمـاً مُستَنهِضـاً ... وَلِسـاناً كُلَّمـا أَعيَـت حَداهـا
وَرَمـى بِالـنَفسِ في بُـركانِها ... فَـتَلَقّى أَوَّلَ الـنـاسِ لَظاهـا
أَعَلِمـتُم بَعـدَ موسـى مِـن يَـدٍ ... قَذَفَـت في وَجـهِ فِـرعَونَ عَصـاها
وَطِـأَت نـادِبَـةً صـارِخَـةً ... شـاهَ وَجـهُ الـرِقِّ يـا قَـومُ وَشـاها
ظَفِـرَت بِالكِـبرِ مِـن مُسـتَكبِرٍ ... ظافِـرِ الأَيّـامِ مَنصـورِ لِواهـا

القَنا الصُمُّ نَشاوى حَولَهُ ... وَسُيوفُ الهِندِ لَم تَصحُ ظُباها

وتعد فترة منفى " شوقى " من أخصب مراحل شعره وأرقها وألصقها بالحس والوجدان والعواطف المشبوبة تجاه وطنه وقلبه مصر ، ومن عيون قصائده فى هذه الفترة قصيدته " الرحلة إلى الأندلس " التى نسجها منطلقا من " برشلونه " إليها معارضا سينية " البحترى " فى إيوان كسرى التى مطلعها :

صُنت نفسى عما يدنّس نفسى ... وترفّعت عن ندى كلّ جبس

يقول " شوقى " فى معارضته :

اِختِلافُ النَهارِ وَاللَيلِ يُنسي ... اُذكُرا لِيَ الصِبا وَأَيّامَ أُنسي

وَصِفا لي مُلاوَةً مِن شَبابٍ ... صُوِّرَت مِن تَصَوُّراتٍ وَمَسِّ

عَصَفَت كَالصِبا اللَعوبِ وَمَرَّت ... سِنَةً حُلوَةً وَلَذَّةُ خَلسِ

وَسَلا مِصرَ هَل سَلا القَلبُ عَنها ... أَو أَسا جُرحَهُ الزَمانُ المُؤَسّي

كُلَّما مَرَّتِ اللَيالي عَلَيهِ ... رَقَّ وَالعَهدُ في اللَيالي تُقَسّي

مُستَطارٌ إِذا البَواخِرُ رَنَّت ... أَوَّلَ اللَيلِ أَو عَوَت بَعدَ جَرسِ

راهِبٌ في الضُلوعِ لِلسُفنِ فَطنٌ ... كُلَّما ثُرنَ شاعَهُنَّ بِنَقسِ

يا اِبنَةَ اليَمِّ ما أَبوكِ بَخيلٌ ... ما لَهُ مولَعاً بِمَنعٍ وَحَبسِ

أَحَرامٌ عَلى بَلابِلِهِ الدَو ... حُ حَلالٌ لِلطَيرِ مِن كُلِّ جِنسِ

كُلُّ دارٍ أَحَقُّ بِالأَهلِ إِلا ... في خَبيثٍ مِنَ المَذاهِبِ رِجسِ

نَفسي مِرجَلٌ وَقَلبي شِراعٌ ... بِهِما في الدُموعِ سيري وَأَرسي

وَاِجعَلي وَجهَكِ الفَنارَ وَمَجرا ... كِ يَدَ الثَغرِ بَينَ رَملٍ وَمَكسِ

وَطَني لَو شُغِلتُ بِالخُلدِ عَنهُ ... نازَعَتني إِلَيهِ في الخُلدِ نَفسي

وَهَفا بِالفُؤادِ في سَلسَبيلٍ ... ظَمَأٌ لِلسَوادِ مِن عَينِ شَمسِ

شَهِدَ اللَهُ لَم يَغِب عَن جُفوني ... شَخصُهُ ساعَةً وَلَم يَخلُ حِسّي

ومن عيون هذه المرحلة - أيضا - قصيدته " أندلسية " التى عارض بها نونية " ابن زيدون " ، نثبت منها فى هذا المقام مقدمتها

التى يتوحد فيها " شوقى " مع طائر الطلح الذى رآه " شوقى " نفسا تشاركه مأساته وحزنه ولوعته ، يقول فيها:

يا نائِحَ الطَّلحِ أشباهٌ عَوادينا ... نَشجى لِواديكَ أَم نَأسى لِوادينا
ماذا تَقُصُّ عَلَينا غَيرَ أَنَّ يَداً ... قَصَّت جَناحَكَ جالَت في حَواشينا
رَمى بِنا البَينُ أَيكاً غَيرَ سامِرِنا ... أَخا الغَريبِ وَظِلّاً غَيرَ نادينا
كُلٌّ رَمَتهُ النَوى ريشَ الفِراقُ لَنا ... سَهماً وَسُلَّ عَلَيكَ البَينُ سِكّينا
إِذا دَعا الشَوقُ لَم نَبرَح بِمُنصَدِعٍ ... مِنَ الجَناحَينِ عَيٍّ لا يُلَبّينا
فَإِن يَكُ الجِنسُ يا اِبنَ الطَلحِ فَرَّقَنا ... إِنَّ المَصائِبَ يَجمَعنَ المُصابينا
لَم تَألُ ماءَكَ تَحناناً وَلا ظَمَأً ... وَلا اِدِّكاراً وَلا شَجوا أَفانينا
تَجُرُّ مِن فَنَنٍ ساقاً إِلى فَنَنٍ ... وَتَسحَبُ الذَيلَ تَرتادُ المُؤاسينا
أُساةُ جِسمِكَ شَتّى حينَ تَطلُبُهُم ... فَمَن لِروحِكَ بِالنُطسِ المُداوينا
آهاً لَنا نازِحي أَيكٍ بِأَندَلُسٍ ... وَإِن حَلَلنا رَفيقاً مِن رَوابينا
رَسمٌ وَقَفنا عَلى رَسمِ الوَفاءِ لَهُ ... نَجيشُ بِالدَمعِ وَالإِجلالِ يَثنينا

أما وفاة شاعرنا فقد قدم هو نفسه لها بلوحة مرهفة الحس عميقة الغور لا تنبئ إلا عن شاعر فنان مرهف الأحاسيس سابر الأغوار مستشرف الغد القريب ، ملبسا ذلك ك' ، ثوب الحكمة النابعة عن تجريب الحياة الزائلة . وقد نقل هذه اللوحة " سيد صديق عبد الفتاح " فى كتابه " نثريات أحمد شوقى " وحرصت على نقلها منه كما هى لتكون أمام أعين قراء هذه الصفحات ؛ يقول:

" يقول " طاهر الطناحى " : لما قال أمير الشعراء " أحمد شوقى " فى رثاء شاعر النيل " حافظ إبراهيم " :

قد كنت أوثر أن تقول رثائى ... يا منصف الموتى من الأحياء
لكن سبقت وكل طول سلامة ... قدر ، وكل منية بقضاء

قلنا : لقد نعى أمير الشعراء ، وأذنت شمس حياته بالمغيب ، وما نحسب أنه مقيم بيننا طويلا ، وقد لا ينتهى العام، حتى نفتقده

بين الصفائح (الحجارة العراض) والرجام (الرُّجْمَةُ واحدة الرُّجَم والرِّجام وهى الحجارة) ـ وكنا وقتئذ فى آخر يولية سنة ١٩٣٣م ولم يجف دمعنا على شاعر النيل ، ثم مضت بعد وفاته ثلاثة وثمانون يوما، وفى صبيحة اليوم الرابع والثمانين ـ وهو يوم ١٤ أكتوبر ـ طوى مصر والجزيرة العربية والشرق كله نبأ فزعت فيه دولة الأدب بآمالها إلى الكذب ، لأنه نبأ مفاجئ ، ولأنها كانت تتمنى لـ " شوقى " حياة طويلة ، ولها من نبوغه ثروة جديدة .

وقبل أن يموت بأيام عاد فى المساء إلى داره " كرمة بن هانئ"، فلما دخلها وقف بالحديقة .

وقال لسكرتيره : كم قبرا تسع هذه الدار ؟

فدهش السكرتير ، وقال له : ولماذا هذا السؤال يا باشا ؟!

فقال : لا شىء ، لكنه خاطر مر بنفسى ، فذكرت الموت ، وطالما خالجتنى ذكراه فى هذه الأيام ، فهب أننى مت ، فماذا يكون ؟!

ـ عشت يا أمير الشعراء ، ولا روعت فيك مصر ، ولا فجع بك الشرق العربى .

ـ لا تخف .. فليس الموت بالمصيبة العظمى ، وقد يكون منجاة من حسد حاسد ، وحقد حاقد ، والقبر أبقى من هذه الدار ، وهو لا يشغل غير عشرة أمتار ، أما هى .. فقد شغلت خمسة آلاف متر ، فلو بنيت فى مكانها قبور ، لاتسعت لخمسمائة قبر ، أليس كذلك ؟

فسُقِط فى يد السكرتير ، وعاد " شوقى " فاستأنف كلامه ، فقال : أى أن " كرمة بن هانئ " تشغل من الأرض ما يكفى ثلاثة آلاف من الموتى فما أعظم طمعنا فى دار الفناء ، وقناعتنا فى دار البقاء.

ـ أراك اليوم تذكر الموت ، وقد نهيتنا عن ذكره فى مجالسك ، وتمنيت لنا منه النجاة .

ـ نعم ، ولكنى ما خفته يوما ، وما ذممته قط ولا لُذْتُ منه بالفرار ، ولا نقمت لأجله على الأقدار .

أنا من لا يرى الفرار من المو ت، ومن لا يرى من الموت بدا
إنما الموت منتهى كل حى لم يصب مالك من الملك خلدا
سنة الله فى العباد ، وأمر ناطق عن بقائه ، لن يردا

ولماذا الفرار من راحة بعد عناء ، ونعيم بعد شقاء ، فإن "الحياة كعهدك بها معصية ، عن الحظيرة مقصية ، وخلوة حلوة عواقبها نقص، ومشاربها غصص ، أفعى خداعة ، ولذة لذاعة ، شوك بغض الوَرد ، وقذى نغص الورد ، أمور شتى الأعنة ، وحوادث وقع وأجنة ، فقل لمن أطال التفكير ، وبالغ فى التنكير ، وكد باله ، ومد بلباله ، واحترق احتراق الذبالة :

خل اهتمامك ناحيه وخد الحياة كما هى

" ولنعد إلى " كرمة بن هانئ " . أليست واسعة الجوانب ، ثم أليست تتسع لخمسمائة قبر ، فى كل قبر ستة أموات ، فتكفى إذن ثلاثة آلاف ميت ، فبئس حرص الإنسان ، وبئست نفسه المدمنة على الشهوات .

والنفس عاكفة على شهواتها تأوى إلى أحقادها وتثور
والعيش آمال تجدُّ وتنقضى والموت أصدق والحياة غرور"

" نعيش ونمضى فى عذاب كلذة ، وفى لذة كعذاب ، ونذهب من الأحلام فى كل مذهب ، ثم تنتهى هذه الأحلام إلى ذهاب . ونبنى من التراب قصورا ، ونحن لعمر الحق تراب . والفلك دائر ، ما لعصاه مستقر ، ودولابه بالعالم سائر ، وعلى جانبيه المرتقى والمنحدر . نقض

إيوان " كسرى " من أساسه ، وأتى الأهرام من أم راسه ، ودهى صرح الحمراء ، فقوّض منه أعظم البناء ، ولم تبق له الخطوب إلا عمدا قائمة ، هي على عباب الأيام عائمة ".

" أين رومية وقيصرها ، وجنة الطلح ومعتدمها ، وأين نابليون وصولته ، وصقر قريش ومنيته . لقد صار القصر له قبرا ، ثم ذهب القبر وصاحبه ، وأصبح ذكرا في الأفواه ، وخاطرا في النفوس ، أو سطرا في الطروس " .

ثم ماذا ، أنسيت السؤال :

- كم قبرا تسع هذه الدار ؟

- أليست " كرمة بن هانئ " تسع خمسمائة قبر ، أليست هذه القبور تتسع لثلاثة آلاف من الموتى ، ثم ألسنا مسرفين جدا . لقد شغلنا من الأرض كبيرا ، وعطلنا من منافع الناس كثيرا . فبعدا لطمع الإنسان، يطلب الجاه ويستزيد من المال ، ويستعمر من الأرض الآلاف، ويكلف نفسه المتاعب ، ويبني حول حجرته حجرات ، وفوق طبقته طبقات ، ويرجو أن ينطح بها عنان السموات ، وما درى أن الحياة دقائق ولحظات . فما أضله وأعجب عقله . لقد شغل بنفسه عن رمسه، ونسي أنه زائل ولو طال به المدى ، وأنه واصل ولو أبطأت به المطية .

كل حي وإن تراخت منايا ه ، قضاء عن الحياة انقطاعه
والذي تحرص النفوس عليه عالم باطل قليل متاعه

" إني لأشعر بتعب في هذه الأيام ، وقد استهلك جسمي الضعف، وعصرتني الشيخوخة ، فما أبقت مني غير مخ في عظام ، وما أحسب أني مقيم طويلا ، فيما ترى على أية الحالين يأتيني الأجل، أبعد الرقاد أياما ، أم في غفلة من النفس ، وسنة من الحس .

وأي المصرعين أشد : موت على علم ، أم الموت الفوات

وهل تقع النفوس على أمان   كما وقعت على الحرم القطاة

رسم " أحمد شوقى " هذه اللوحة البيانية النفسية الرائعة ثم مات بعدها ببضع ليال تاركا للتراث الإنسانى خلاصة فكره ووجدانه فى صورة فن قولى راقى المستوى نذكر منه :

١- " الشوقيات " وهو ديوان شعره الرئيس فى أربعة أجزاء.
٢- " على بك الكبير" ألفها وهو نزيل باريس فى أكتوبر سنة ١٨٩٣م.
٣- " عذراء الهند " سنة ١٨٩٧م.
٤- " رواية لادياس " رواية ألفها سنة ١٨٩٩م.
٥- " شيطان البنتاؤر " نشرتها المجلة المصرية سنة ١٩٠١م - ١٩٠٢م .
٦ - " ورقة الآس " ظهرت سنة ١٩٠٤م ضمن روايات (مسامرات الشعب) .
٧- " مصرع كليوباترا " ، أخرجت سنة ١٩٢٩م .
٨- " قمبيز " سنة ١٩٣١م .
٩- " مجنون ليلى " سنة ١٩٣١م .
١٠-" أسواق الذهب " طبع سنة ١٩٣٢م وهو من النثر الفنى .
١١- " عظماء الإسلام " طبعت سنة ١٩٣٢م وهى ملحمة شعرية .
١٢- " عنترة " سنة ١٩٣٢م .
١٣- " أميرة الأندلس " ١٩٣٢م .
١٤- " دول العرب " سنة ١٩٣٢م .
١٥- " السيدة هدى " .
١٦- البخيلة .
١٧- " كشكول " جامع القصائد التى لم تنشر ، وقصائد سهلة للأطفال.
١٨- " كلمات شوقى " (جمعها عبد العال أحمد حمدان) .

١٩- " الشوقيات المجهولة " ، جمعها د. محمد صبرى السربونى فى جزءين .

عالج " شوقى " أكثر فنون الشعر: مديحاً، وغزلاً، ورثاءً، ووصفاً، ثم ارتفع محلقاً فتناول الأحداث الاجتماعية والسياسية في مصر والشرق والعالم الإسلامي ، وهو أول من جود القصص الشعري التمثيلي بالعربية وقد حاوله قبله أفراد، فنبذهم وتفرد. وأراد أن يجمع بين عنصري البيان: الشعر والنثر، فكتب نثراً مسموعاً على نمط المقامات فلم يلق نجاحاً فعاد إلى الشعر.

ومن الثابت أن " شوقى " لم تُكفل له حريته فى فترة التصاقه بالقصر والخديوى " عباس حلمى الثانى " على وجه التحديد ؛ إذ كان مشدودا بحكم وظيفته إلى القصر وصاحبه ، ولكنه مع ذلك حاول أن يفرغ لنفسه ولفنه ، فنظم على ألسنة الحيوان شعرا على نسق ما قرأه فى الفرنسية للشاعر " لافونتين " فى خرافاته " Le fables ". وحاول محاولة أروع من تلك المحاولة ، إذ قرأ عند بعض الشعراء الفرنسيين شعرا تاريخيا رائعا من مثل " أساطير القرون لـ " فيكتور هيجو" ، فرأى أن ينظم على هذا المثال قصيدته الطويلة " كبار الحوادث فى وادى النيل " وألقاها فى مؤتمر المستشرقين الذى انعقد فى سنة ١٨٩٤ م، يقول فى مطلعها :

هَمَّتِ الفُلْكُ وَاحتَوَاهَا الماءُ ... وَحَدَاهَا بِمَن تُقِلُّ الرَّجَاءُ
ضَرَبَ البَحرُ ذو العُبابِ حَوالَيـ ... ـهَا سَماءً قَد أكبَرَتها السَّماءُ
وَرَأى المارِقونَ مِن شَرَكِ الأرْ ... ضِ شِباكاً تَمُدُّها الدَّأماءُ
وَجِبالاً مَوائِجاً في جِبالٍ ... تَتَدَجّى كَأنَّها الظَّلماءُ
وَدَوِيّاً كَما تَأهَّبَتِ الخَيـ ... ـلُ وَهاجَت حُماتَها الهَيجاءُ
لُجَّةٌ عِندَ لُجَّةٍ عِندَ أُخرى ... كَهِضابٍ ماجَت بِها البَيداءُ

وَسَفينٌ طَوراً تَلوحُ وَحيناً ... يَتَوَلّى أَشباحَهُنَّ الخَفاءُ
نازِلاتٌ في سَيرِها صاعِداتٌ ... كَالهَوادي يَهُزُّهُنَّ الحُداءُ
رَبِّ إِن شِئتَ فَالفَضاءُ مَضيقٌ ... وَإِذا شِئتَ فَالمَضيقُ فَضاءُ

واستمر " شوقى " طويلا فى هذا الاتجاه ، فنظم فرعونياته المشهورة فى النيل وتوت عنخ آمون وقصر أنس الوجود وأبى الهول التى يقول فى بعضها :

أَبا الهَولِ طالَ عَلَيكَ العُصُر ... وَبُلِّغتَ في الأَرضِ أَقصى العُمُر
فَيالِدَةَ الدَهرِ لا الدَهرُ شَبَّ ... وَلا أَنتَ جاوَزتَ حَدَّ الصِغَر
إِلامَ رُكوبُكَ مَتنَ الرِمالِ ... لِطَيِّ الأَصيلِ وَجَوبِ السَحَر
تُسافِرُ مُنتَقِلاً في القُرونِ ... فَأَيّانَ تُلقي غُبارَ السَفَر
أَبَينَكَ عَهدٌ وَبَينَ الجِبالِ ... تَزولانِ في المَوعِدِ المُنتَظَر
أَبا الهَولِ ماذا وَراءَ البَقاءِ ... إِذا ما تَطاوَلَ غَيرُ الضَجَر
عَجِبتُ لِلُقمانَ في حِرصِهِ ... عَلى لُبَدٍ وَالنُسورِ الأُخَر
وَشَكوى لَبيدٍ لِطولِ الحَياةِ ... وَلَو لَم تَطُل لَتَشَكّى القِصَر
وَلَو وُجِدَت فيكَ يا بنَ الصَفاةِ ... لَحِقتَ بِصانِعِكَ المُقتَدِر
فَإِنَّ الحَياةَ تَفُلُّ الحَديدَ ... إِذا لَبِسَتهُ وَتُبلي الحَجَر
أَبا الهَولِ ما أَنتَ في المُعضِلاتِ ... لَقَد ضَلَّتِ السُبلَ فيكَ الفِكَر
تَحَيَّرَتِ البَدوُ ماذا تَكونُ ... وَضَلَّت بِوادي الظُنونِ الحَضَر
فَكُنتَ لَهُم صورَةَ العُنفُوانُ ... وَكُنتَ مِثالَ الحِجى وَالبَصَر
وَسِرُّكَ في حُجبِهِ كُلَّما ... أَطَلَّت عَلَيهِ الظُنونُ اِستَتَر
وَما راعَهُم غَيرُ رَأسِ الرِجالِ ... عَلى هَيكَلٍ مِن ذَواتِ الظُفُر
وَلَو صُوِّروا مِن نَواحي الطِباعِ ... تَوالَوا عَلَيكَ سِباعَ الصُوَر
فَيا رُبَّ وَجهٍ كَصافي النَميرِ ... تَشابَهَ حامِلُهُ وَالنَمِر

ومد شعره إلى ينابيع الإسلام ، فاستقى منها قصائد رائعة فى مديح الرسول من مثل الميمية التى عارض فيها بردة " الإمام البوصيرى " وقصيدته الرائعة " ولد الهدى " التى يقول فيها :

داءُ الجَماعَةِ مِن أرِسطاليسَ لَم … يوصَف لَهُ حَتّى أَتَيتَ دَواءُ
فَرَسَمتَ بَعدَكَ لِلعِبادِ حُكومَةً … لا سوقَةٌ فيها وَلا أُمَراءُ
اللَهُ فَوقَ الخَلقِ فيها وَحدَهُ … وَالناسُ تَحتَ لِوائِها أَكفاءُ
وَالدينُ يُسرٌ وَالخِلافَةُ بَيعَةٌ … وَالأَمرُ شورى وَالحُقوقُ قَضاءُ
الإِشتِراكِيّونَ أَنتَ إِمامُهُم … لَولا دَعاوى القَومِ وَالغُلَواءُ
داوَيتَ مُتَّئِداً وَداوَوا طَفرَةً … وَأَخَفُّ مِن بَعضِ الدَواءِ الداءُ
الحَربُ في حَقٍّ لَدَيكَ شَريعَةٌ … وَمِنَ السُمومِ الناقِعاتِ دَواءُ
وَالبِرُّ عِندَكَ ذِمَّةٌ وَفَريضَةٌ … لا مِنَّةٌ مَمنونَةٌ وَجَباءُ
جاءَت فَوَحَّدَتِ الزَكاةُ سَبيلَهُ … حَتّى اِلتَقى الكُرَماءُ وَالبُخَلاءُ
أَنصَفَت أَهلَ الفَقرِ مِن أَهلِ الغِنى … فَالكُلُّ في حَقِّ الحَياةِ سَواءُ
فَلَوَ اَنَّ إِنساناً تَخَيَّرَ مِلَّةً … ما اِختارَ إِلّا دينَكَ الفُقَراءُ

كما استقى فى شعره أحيانا من ينابيع العروبة ، وكل ذلك معناه أنه يريد الانطلاق من قيود القصر وصاحبه والتحليق فى آفاق أوسع وأرحب .

وعندما رجع " شوقى " إلى مصر بعد النفى وجد " أرضها تخضبها دماء شبابنا فى ثورتنا الوطنية الأولى ، ولم تلبث حريتنا أن ردت إلينا ، كما ردت حرية " شوقى " إليه . ومن هنا تبدأ الدورة الثانية فى حياته الأدبية فإنه لم يعد يفكر فى القصر ولا فى وظيفته فيه ، فقد أصبح حرا طليقا ، وهيأ له ثراؤه أن ينعم إلى أقصى حد بهذه الحرية ، فخلص لفنه ولشعبه وأخذ يغنيه أغانى وطنية رائعة . ولم يكد يبدأ هذه الأغانى حتى بذّ حافظا الذى كان يتفوق عليه فى هذا المجال قبل الحرب وقبل توظفه فى دار الكتب المصرية ، ومرجع ذلك أن فنه كان أروع من فن " حافظ " ، فلما اتجه به إلى تصوير عواطفنا الوطنية وحياتنا السياسية بلغ من ذلك الغاية التى لا تمتد إليها الأعناق.

ولم يُغنِّ مواطنيه وحدهم أهواءهم وعواطفهم السياسية، بل أخذ يغني الشعوب العربية أهواءها وعواطفها القومية ، وله في ثورات سوريا على الفرنسيين قصائد باهرة . ولا نبالغ إذا قلنا إنه كان بشيرا بفكرة الجامعة العربية التي تأسست من بعده؛ فشعره في هذه الدورة من حياته يفيض بالوحدة العربية وأن العرب جسم واحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

ومن قوله في هذه المعاني مخاطبا أبناء العروبة في قصيدته " دمشق " :

المُلكُ أن تعمَلوا ما استطَعتُمو عَمَلاً ... وَأن يَبينَ عَلى الأعمالِ إتقانُ
المُلكُ أن تُخرَجَ الأموالُ ناشِطَةً ... لِمَطلَبٍ فيهِ إصلاحٌ وَعُمرانُ
المُلكُ تَحتَ لِسانٍ حَولَهُ أدَبٌ ... وَتَحتَ عَقلٍ عَلى جَنبَيهِ عِرفانُ
المُلكُ أن تَتَلافَوا في هَوى وَطَنٍ ... تَفَرَّقَت فيهِ أجناسٌ وَأديانُ
نَصيحَةٌ مِلؤُها الإخلاصُ صادِقَةٌ ... وَالنُصحُ خالِصُهُ دينٌ وَإيمانُ
وَالشِعرُ ما لَم يَكُن ذِكرى وَعاطِفَةً ... أو حِكمَةً فَهوَ تَقطيعٌ وَأوزانُ
وَنَحنُ في الشَرقِ وَالفُصحى بَنو رَحِمٍ ... وَنَحنُ في الجُرحِ وَالآلامِ إخوانُ

ومن ذلك قوله في قصيدته " تحية الشعر " التي ألقيت في دار الأوبرا الملكية في حفلة افتتاح مؤتمر تكريمه الذي انعقد فيها :

كانَ شِعري الغِناءَ في فَرَحِ الشَر ... قِ وَكانَ العَزاءُ في أحزانِه
قَد قَضى اللَهُ أن يُؤَلِّفَنا الجُر ... حُ وَأن نَلتَقي عَلى أشجانِه
كُلَّما أنَّ بِالعِراقِ جَريحٌ ... لَمَسَ الشَرقُ جَنبَهُ في عُمانِه
وَعَلَينا كَما عَلَيكُم حَديدٌ ... تَتَنَزّى اللُيوثُ في قُضبانِه
نَحنُ في الفِقهِ بِالدِيارِ سَواءٌ ... كُلُّنا مُشفِقٌ عَلى أوطانِه

بهذا استحق " شوقي " أن يكون أمير الشعراء وشاعر العروبة والإسلام والمبدع الذي أسدل أستارا كثيفة على أقرانه من الشعراء الذين

عاصروه ، ولم يكن فى وسع هؤلاء الشعراء إلا أن يقروا تنصيبه أميرا عليهم راضين مقتنعين كما يبدو فى قول " حافظ إبراهيم" :

بَلابِلَ وادي النيلِ بِالمَشرِقِ اِسجَعي ... بِشِعرِ أَميرِ الدَولَتَينِ وَرَجِّعي

أَعيدي عَلى الأَسماعِ ما غَرَّدَت بِهِ ... يَراعَةُ شَوقي في اِبتِداءٍ وَمَقطَعِ

بَراها لَهُ الباري فَلَم يَنبُ سِنُّها ... إِذا ما نَبا العَسّالُ في كَفِّ أَروَعِ

مَواقِعُها في الشَرقِ وَالشَرقُ مُجدِبٌ ... مَواقِعُ صَيبِ الغَيثِ في كُلِّ بَلقَعِ

لَدَيها وُفودُ اللَفظِ تَنساقُ خَلفَها ... وُفودُ المَعاني خُشَّعاً عِندَ خُشَّعِ

ثم يخاطبه قائلا :

أَميرَ القَوافي قَد أَتَيتُ مُبايِعاً ... وَهَذي وُفودُ الشَرقِ قَد بايَعَت مَعي

فَغَنِّ رُبوعَ النيلِ وَاِعطِف بِنَظرَةٍ ... عَلى ساكِني النَهرَينِ وَاِصدَح وَأَبدِعِ

وَلا تَنسَ نَجداً إِنَّها مَنبِتُ الهَوى ... وَمَرعى المَها مِن سارِحاتٍ وَرُتَّعِ

وَحَيِّ ذُرى لُبنانَ وَاِجعَل لِتونُسٍ ... نَصيباً مِنَ السَلوى وَقَسِّم وَوَزِّعِ

فَفي الشِعرِ حَثُّ الطامِحينَ إِلى العُلا ... وَفي الشِعرِ زُهدُ الناسِكِ المُتَوَرِّعِ

وَفي الشِعرِ ما يُغني عَنِ السَيفِ وَقعُهُ ... كَما رَوَّعَ الأَعداءَ بَيتٌ لِأَشجَعِ

وَفي الشِعرِ إِحياءُ النُفوسِ وَرِيُّها ... وَأَنتَ لِرِيِّ النَفسِ أَعذَبُ مَنبَعِ

فَنَبِّه عُقولاً طالَ عَهدُ رُقادِها ... وَأَفئِدَةً شُدَّت إِلَيها بِأَنسُعِ

فَقَد غَمَرَتها مِحنَةٌ فَوقَ مِحنَةٍ ... وَأَنتَ لَها يا شاعِرَ الشَرقِ فَاِدفَعِ

وَأَنتَ بِحَمدِ اللَهِ ما زِلتَ قادِراً ... عَلى النَفعِ فَاِستَنهِض بَيانَكَ وَاِنفَعِ

وَخُذ بِزِمامِ القَومِ وَاِنزِع بِأَهلِهِ ... إِلى المَجدِ وَالعَلياءِ أَكرَمَ مَنزِعِ

وَقِفنا عَلى النَهجِ القَويمِ فَإِنَّنا ... سَلَكنا طَريقاً لِلهُدى غَيرَ مَهيَعِ

مَلَأنا طِباقَ الأَرضِ وَجداً وَلَوعَةً ... بِهِندٍ وَدَعدٍ وَالرَبابِ وَبَوزَعِ

وَمَلَّت بَناتُ الشِعرِ مِنّا مَواقِفاً ... بِسِقطِ اللِوى وَالرَقمَتَينِ وَلَعلَعِ

وَأَقوامُنا في الشَرقِ قَد طالَ نَومُهُم ... وَما كانَ نَومُ الشِعرِ بِالمُتَوَقَّعِ

تَغَيَّرَتِ الدُنيا وَقَد كانَ أَهلُها ... يَرَونَ مُتونَ العيسِ أَليَنَ مَضجَعِ

- ٢ -

مدخل فى حكايات الحيوان

أمـا بالنسـبة لـلحكايات عـلى لسـان الحـيوان فهـو فـن قديـم فـى آداب العـالم المخـتلفة ، وممـا يلاحـظ أنـه بـدا فـى الآداب الغربـية نـثرا ثـم سـرعان مـا صـار شـعرا ويـرجع هـذا الـتاريخ إلى مـا قـبل اليونان ثم برز على يـد " إيسـوبس " [٢] ، ثـم تأثـر الأدب اللاتيـنى بمـا ورد مـن هـذا الجـنس الفنى عند اليونان .

" وانـتهى ذلـك المـيراث فـى هـذا الجـنس الأدبـى إلى " لافونـتين " الفرنسـى ١٦٢١م : ١٦٩٥م فـتأثر بـه وحاكـاه وأخـذ كـثيرا مـن موضـوعاته عـن سـابقيه وبخاصـة مـن اليونانـيين واللاتينـيين ولكـنه بلـغ بهـذا الجـنس الأدبـى أقصـى مـا قـدر لـه مـن كمـال فـنى ، فقـد راعـى الأسـس الفنـية العامـة الـتى لحظهـا الـنابغون فـى ذلـك الجـنس الأدبـى مـن سـابقيه ، ثـم اسـتكمل هـذه القواعـد الفنـية ، وبـرع فـيها حـتى صـار مـثالا لمـن حاكوه فى الآداب جميعا " [٣]

وهـذه القواعـد الفنـية الـتى تجمعـت فـى حكايـات "لافونـتين" عـلى لسـان الحـيوان أو مـا اصـطلح الـنقاد عـلى تسـميتها بالخـرافة " fable " الـتى يغلـب علـيها ذلـك الطـابع الأخلاقـى مـن جهـة والتعلـيمى مـن جهـة أخـرى فـى قالـبها الأدبـى الخـاص بهـا " وهـى تـنحو مـنحى الرمـز فـى معـناه اللغـوى العـام ، لا فـى معـناه المذهـبى ، فالرمـز فـيها معـناه أن يعـرض الكاتـب أو الشـاعر شخصـيات وحـوادث ، عـلى حـين يـريد شخصـيات وحـوادث أخـرى عـن طـريق المقابلـة والمـناظرة بحيـث يتتـبع المـرء فـى قـراءتها صـور الشخصـيات الظاهـرة الـتى تشـف عـن صـور شخصـيات أخـرى تـتراءى خلـف هـذه الشخصـيات الظاهـرة . وغالـبا مـا

تحكى على لسان الحيوان أو النبات أو الجماد ، ولكنها قد تحكى كذلك على ألسنة شخصيات إنسانية تتخذ رموزا لشخصيات أخرى"[٤].

أما بالنسبة لنشأة شعر الحيوان فى الأدب العربى فمن الثابت أن الحيوان قد جاء ذكره كثيرا منذ بدايات الشعر العربى فى الجاهلية بطريقة وصفية تتشكل من خلالها مفردات الصورة الشعرية ولم يتعدى ذلك إلى أن يشكل الحيوان عنصرا أساسيا فى حكاية أو قصة شعرية أو غير شعرية تحمل العبرة والعظة وتبث قيما إلا نادرا جدا ، وقد استمر ذلك إلى أن طلع علينا " عبد الله بن المقفع " بكتابه الرائد " كليلة ودمنة " الذى اختلف النقاد حوله أهو مترجم أم مؤلف ، فأصبح ابن المقفع بهذا رائدا لهذا الفن فى العربية [٥]

ومهما يكن من أمر هذا الخلاف فالثابت أن " كليلة ودمنة " كتاب رائد فى ذلك الفن الذى يستنطق الحيوان ، فكان إضافة لا مراء فيها إلى وصف الحيوان فى الشعر العربى ، وهو نتيجة طبعية للاختلاط بالأعاجم الذى أدى إلى امتزاج الثقافة الإسلامية بثقافات البلاد المفتوحة كالفارسية والهندية والرومانية واليونانية والمصرية ... ، والثابت أن كل الكتابات المتأخرة عن " كليلة ودمنة" متأثرة بها [٦]

وفى فضل هذا الكتاب يقول الجاحظ ـ فى رسائله ـ :

" ودفتر كليلة ودمنة كنز حكمته ظنَّ أنَّه الفاروق الأكبر في التدبير ، وابن عبّاس في العلم بالتأويل ، ومُعاذ بن جبلٍ في العلم بالحلال والحرام ، وعليٌّ بن أبي طالب في الجرأة على القضاء والأحكام، وأبو الهذيل العلاّف في الجُزء والطَّفرة ، وإبراهيم بن سيار النظّام في المكامنات والمجانسات ، وحسينٌ النَّجّار في العبارات والقول بالإثبات ، والأصمعيُّ وأبو عبيدة في معرفة اللغات والعلم بالأنساب ".

ويضيف " بازيـ ر العزيـز بـالله الفـاطمى " فـي" البـيزرة " مشـيدا بمضامين كتاب " كليلة ودمنة " وفضله :

" وهـذا كـتاب كـليلة ودمـنة المـتعارف علـيه بـين الحكمـاء فضـله، المشـتملة عـلى الآداب جملـه وفصـوله، ذكـر واضـعه أنـه حكمـة ألفهـا، وجعـلها عـلى ألسـنة الطـير والوحـش، للطـف مواقعهـا مـن الـنفوس، بمقارنـة الشـكل الحـيواني، وإذا كانـت كذلـك كانـت بـالقلوب أمـس، مـن الحفـظ أقـرب، وإذا كـان لذكـرها والحكايـة عـنها هـذا الموضـع، فمـا ظـنك بمشاهدتها ومطاردتها والظفر بما امتنع على الطالب منها " .

وقـد وضـع هـذا الكـتاب فـي الأسـاس لإصـلاح الأخـلاق وتهذيـب الـنفوس " وتـرجع مواضـيع النصـح فـي هـذا الكـتاب إلى مـا يحـتاج إلـيه الـناس فـي معـاملاتهم كوجـوب الابـتعاد عـن سمـاع كـلام السـاعى والـنمام ووخامـة خاتمـة الأشـرار ومـنافع الأصـحاب وعـدم جـواز الأمـن مـن كـيد العـدو ومـدار الإهمـال والغفلـة وآفـة التعجـيل وفـائدة الحـزم وعـدم الاعـتماد عـلى أربـاب الحقـد ونحـو ذلـك ممـا يهـذب الـنفوس ويـرقى العواطـف وضمّنه حكايات يتفرع بعضها من بعض ترجع إلى اثنى عشر بابا " [7]

وقـد عـنى الكـتاب والشـعراء ـ قديمـا ـ بكـتاب " كلـيلة ودمـنة " وأخـذوا مـنه وصـاغوه شـعرا كمـا صـنع " أبـان بـن عـبد الحمـيد اللاحقـى " الـذى " نقـل للـبرامكة كـتاب كلـيلة ودمـنة ، فجعلـه شـعراً ، ليسـهل حفظه عليهم ، وهو معروف ، أوله :

هـــذا كـــتاب أدب ومحـــنـه ... وهـو الـذي يدعـى كلـيلة ودمـنه
فـــيه احتـــيالات وفـــيه رشـــد ... وهـــو كـــتاب وضـــعته الهـــنـد

فأعطـاه " يحـيى بـن خـالد " عشـرة آلاف ديـنار، وأعطـاه "الفضـل" خمسـة آلاف ديـنار، ولم يعطـه " جعفـر" شـيئاً، وقـال: ألا

يكفيك أن أحفظه فأكون روايتك؟ وعمل أيضاً القصيدة التي ذكر فيها مبدأ الخلق وأمر الدنيا وشيئاً من المنطق، وسماها ذات الحلل، ومن الناس من ينسبها إلى أبي العتاهية، والصحيح أنها لأبان. (الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى)

و" الجاحظ " يشير فى " الأمل والمأمول " إلى قراءته فى " كليلة ودمنة " واستلهام الشعراء معانيه ومضامينه فيقول:

" قرأت في كتاب كليلة ودمنة: إن السبب المانع رزق العاقل هو الذي يسوق رزق الجاهل، قال الشاعر:

الجد أنهض بالفتى من عقله	فانهض بجد في الحوادث أو ذر
ما أقرب الأشياء حين يسوقها	قدر وأبعدها إذا لم يقدر
فاذا تعسرت الأمور فارجها	وعليك بالأمر الذي لم يعسر"

كما كان " الجاحظ " حريصا ـ كذلك ـ على الاستعانة بحكمة " ابن المقفع " فى " كليلة ودمنة " فيقول :

" وفي كتاب كليلة ودمنة: الفقر داعية الى أصحابه مقت الناس، وهو مسلبة للعقل وللمروءة ، ومذهبة للعلم والأدب ، ومعدن للتهمة ومجمعة للبلايا. من نزل به الفقر والفاقة لم يجد بداً من ترك الحياء، ومن ذهب حياؤه ذهب سروره، ومن ذهب سروره مقت وأوذي، ومن أوذي حزن، ومن حزن فقد عقله واستنكر حفظه وفهمه، ومن أصيب بفهمه وعقله وحفظه كان أكثر قوله وعمله قيمةً عليه لا له. فإذا افتقر الرجل اتهمه من كان له مؤتمناً وأساء به الظن من كان يظنّ به حسناً، وإن أذنب غيره ظنوه وكان للتهمة وسوء الظن موضعاً، وليس من خلة هي للغني مدح إلا هي للفقير عيب، فإن كان شجاعاً سمي أهوج، وإن كان جواداً سمي مفسداً، وإن كان حليماً سمي

ضعيفاً، وإن كان وقوراً سمي بليداً. فالموت أهون من الفاقة التي يضطر صاحبها الى المسألة لا سيما من البخيل" .

وإذا كانت البداية حقيقية ـ كما رأينا ـ لقصص الحيوان في الأدب العربي مرتبطة بالترجمة والاقتباس من الآداب الأجنبية فقد استمرت هذه الحال إلى العصر الحديث حيث استمر هذا التأثر بالأدب الغربي بصفة عامة وحكايات "لافونتين" بصفة خاصة " وكان أول من تأثر بـ " لافونتين " " محمد عثمان جلال " الذى كتب حكاياته بين عامى ١٨٤٨م : ١٨٥٤م في حين أن " شوقى " نشر حكاياته ١٨٩٨م وهذا يرد ما ذهب إليه " عبد الرحمن صدقى " من أن " شوقى " ـ في رأيه ـ كان أول من أدخل هذا الفن فى الشعر العربى" [٨]

ومعنى هذا أن " محمد عثمان جلال " قد كتب حكاياته قبل مولد " أحمد شوقى " بنحو خمسة عشرة عاما كاملة (ميلاد شوقى ١٦ أكتوبر١٨٧٠م) ومما يذكر أيضا أن وزارة المعارف العمومية قررت تدريسه بالمدارس الابتدائية عام ١٨٩٤م ثم طبع الكتاب للمرة الثانية سنة ١٩٠٨م ثم للمرة الثالثة محققا [٩] على الرغم من هذه الريادة لحكايات الحيوان فى الشعر الحديث فمن الثابت أنه تأثر لكل من سبقه فى هذا الفن وخصوصا " لافونتين " [١٠] .

محمد بن عثمان بن يوسف الحسني الجلالي الوناني ولد في ١٢٤٢هـ ـ ١٨٢٦م ، شاعر ومترجم وأديب مصري، نشأ يتيماً إذ توفي والده (١٢٤٩ هـ ـ ١٨٣٣ م) وعمره لم يتجاوز السبع سنين ونشأ على محبة العلم والاجتهاد .

اختاره رفاعة الطهطاوي لدراسة اللغات الفرنسية والعربية في دار اللغات لما رأى فيه من نبوغ وفطنة، وندب في عام ١٢٦١ هـ ١٨٤٥م لتعليم اللغة الفرنسية في الديوان الخديوي.

وفي عهد الخديوي إسماعيل عين في ديوان الواردات بالإسكندرية رئيساً للمترجمين بديوان البحرية ، ثم عينه الخديوي توفيق (وكان أميراً) رئيساً لقلم الترجمة بوزارة الداخلية.

ثم عين قاضياً بالمحاكم المختلطة ، ومنحته الحكومة المصرية رتبة المتمايز الرفيعة والحكومة الفرنسية ١٨٨٦ م نيشان الأكاديمية من رتبة ضابط ولاقته المنية١٨٩٨ م.

له : عطار الملوك، والعيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ، والأربع روايات في نخب التيارات، والروايات المفيدة في علم التراجيدة، ومسرحية سيد، ورواية الأماني والمنة في حديث قبول وورود جنة، ورواية المخدمين، وأرجوزة في تاريخ مصر، وديوان شعر، وديوان الزجل والملح.

ومما يلاحظ أن " محمد عثمان جلال " فى حكاياته على لسان الحيوان كان ضعيف الديباجة ركيك الأسلوب مضطرب الألفاظ يحرص فى بعض الأحيان على الترجمة المباشرة دون تقريب ذلك إلى الروح المصرية أو العربية كما يلاحظ أنه من أوائل من استخدموا لغة العامة فى شعرهم حتى تفهمه الكثرة من الأمة ـ خصوصا الأطفال ـ [11] .

ومجموع القصائد الشعرية لـ " محمد عثمان جلال " أربع قصائد ومائتان احتوت أربع مائة وثلاثة آلاف بيت . وهاكم قصيدة منها يقول فيها :

قالَ الحِمارُ لمتى أعذَّبُ ... وَأحملُ الأثقالَ ثُمَّ أركبُ

أصبحُ موثوقاً لجلب الماءِ ... وَأدخل الطاحونَ بِالغمّاء
وَكُلما زادَ بي إِجهادي ... زادَ بيَ الضَربُ عَلى فُؤادي
حتام ذا المقت وَذا العذابُ ... وَالقط في البَيت لَهُ أحبابُ
وَما رَأيت القِط قَطٌّ يُضربُ ... مَع أنَّهُ طُول النهار يَلعَبُ
فَتارَةً يَكشف سل العَيش ... وَتارَةً يَبولُ فَوقَ الفَرش
أظن مَولاي قَد اِستَخَفه ... لِرَقصِهِ وَنطِّهِ بخفّه
إِن كانَ هَذا يوجب الإِكراما ... وَيَدفع العَذابَ وَالآلاما
فَاليَوم إِن أتى إِليَّ سَيّدي ... أفك قَيدي ثُم أعطيهِ يَدي
وَلم أزَل في لعب وَحَظ ... وَأفتن الناسَ بِحُسن لَفظي
قالَ فَلَما جاءَ رَبُّ الدار ... وَفتح الباب عَلى الحِمار
فَكَ الحِمارُ قَيده وَجاء ... فظَنه المَولى يُريدُ الماء
وَبينما السيد فَوقَ الكُرسي ... مُلتَفِتاً إِلى الحِمار النحسِ
إِذ أقبَلَ الحِمار نحوَ صاحِبه ... نطٌ عَلَيهِ عاجِلاً وَصاحَ بِه
فَأقبَل الخادم يَجري بِالعَصا ... وَظَهرهُ مِن ضربِهِ قَد قلّصا
وَشاعَ حالاً أمرهُ في الدار ... وَالقط لا يشبه لِلحِمار
وَصحَ بعد ضربه ضرب المثل ... أما الثقيل فثقيل لم يزل

ويعد " أحمد شوقى " من أهم شعراء العربية فى العصر الحديث الذين جاروا " لافونتين " فى حكاياته على لسان الحيوان متأثرا بكثير من سمات هذه الحكايات موضوعيا وفنيا ، ومن ثم بلغ " شوقى " بهذا الجنس الأدبى مكانة عالية فى تاريخ الأدب العربى وكان قد اطلع على آثاره وخصوصا هذه الحكايات فى أثناء دراسته فى فرنسا ؛ و" شوقى " نفسه يقر بهذا التأثر بصراحة ووضوح فى مقدمة الجزء الأول من ديوانه الذى نشره سنة ١٨٩٨م بقوله : " فجربت خاطرى فى هذه الحكايات على أسلوب " لافونتين " الشهير وفى هذه المجموعة شيء من ذلك فكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أو ثلاث إذ أجتمع بأحداث المصريين وأقرأ عليهم شيئا منها يتفهمونه لأول وهلة

ويأنسون إليه ويضحكون من أكثره وأنا أستبشر لذلك وأتمنى لو وفقنى الله لأجعل لأطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للأطفال فى البلاد المتمدنة منظومات قريبة المتناول يأخذون الحكمة والأدب من جمالها على قدر عقولهم".

فتأثير " لافونتين " على حكايات " شوقى " بادٍ بوضوح ، وإن كان " محمد عثمان جلال " قلد هذه الحكايات بلغة العامة فإن " شوقى " قد ترجم منها وقلدها بلغة فصيحة سهلة ليجد فيها الأطفال موعظة تشق طريقها بسهولة ويسر إلى نفوسهم وعقولهم ، لذلك كان " شوقى " حريصا على تلاوته على أسماع الأحداث لينظر مدى تقبلهم هذا الفن ، لكن الدكتور " شوقى ضيف " يذهب إلى أن هذه الحكايات مجرد قصص على هذا النحو الخفيف لا فلسفة فيه ولا عمق فى أفكاره، ويذهب إلى أن الشاعر يكتفى بأقرب الأشياء وأسهلها منالا دون تعب ولا مشقة فى سبيل الجديد الذى يريده، وسيتبين عدم صحة هذا الرأى على إطلاقه .

وقد كان حسن استقبال أحداث المصريين شعر" شوقى" فى حكاياته على لسان الحيوان دافعا لاستمراره فى نظم مثل تلك الحكايات ومع هذا فإنه لم ينشرها كاملة بل نشر بعضها فى الجزء الأول من ديوانه ١٨٩٨م ، ثم أعاد نشرها فى طبعة الشوقيات الثانية سنة ١٩١١م لكن الطبعة الثالثة للجزء الأول من الشوقيات أهملت نشر الحكايات على لسان الحيوان لذا كادت تضيع لولا " محمد سعيد العريان " الذى حقق الجزء الرابع من ديوان الشوقيات ونشره ١٩٤٣م، فجمع كثيرا منها تحت باب الحكايات .

وقد أثر على عدم نشر هذه الحكايات فى فترة ما هذا النقد المحافظ الذى وجهه النقاد إلى " شوقى " بخصوص هذه الحكايات لوقوع هذا النقد فى مرحلة شباب " شوقى " فإن ثورة التجديد التى نقرؤها فى مقدمته للجزء الأول من (الشوقيات) لا تلبث أن تهدأ فى نفسه ويقبع فى القدر وفى إطار الشعر العربى القديم كأنه يريد أن يثبت تفوقه وانتصاره عليهم (١٢)

وأغلب الظن أن " شوقى " ذاته كان قد ساعد فى عدم نشر هذه الحكايات فى الطبعة الثالثة لديوانه بسبب ارتباطه الشديد بالقصر والخديوى إضافة إلى حرصه على شهرته العامة وبعد صيته فى البلاد العربية فتخوف من مفاجأته بمفاجأة المجتمع العربى بالتجديد ، خصوصا أن عددا من النقاد كـ " المويلحى " هاجم هذا الاتجاه الجديد عند " شوقى " – فى صحيفة مصباح الشرق – ورفضه زاعما أن الشعر العربى ليس بحاجة إلى مثل هذا التجديد (١٣)

ومهما يكن من أمر فإن الحكايات على لسان الحيوان فن أدبى أصيل أقره النقاد واصطلح كثير منهم على تسميته الخرافة " fable " وهى – عندهم – قصة حيوانية يتكلم الحيوان فيها ويمثل مع احتفاظه بحيوانيته ولها مغزى ويمكن أن يقوم بدور البطولة فيها الطير والنبات والجماد والإنسان إلى جانب الحيوان ، لكنها نسبت إلى الحيوان وحده لأنه أكثر ورودا فى هذه القصص والحكايات والقصص التى وردت عنه أكثر عددا وهؤلاء الأبطال مهما كانوا ليسوا إلا صورة رمزية لأبطال حقيقيين .

كما تلتقى الخرافة فى كثير من خصائصها بقصة الموعظة فهما يدخلان ضمن الأشكال الأدبية التعليمية فهما يتفقان فى الغاية التى

ترمى إليها كل منهما أو الدروس النافعة التى تنقلها والخلاف الوحيد الذى يبرز بينهما أن الخرافة تكون أقل تعقيدا وطولا مما تكون عليه قصة الموعظة عادة إضافة إلى أنه قد توجد بعض الخرافات تخلو من المغزى الخلقى [١٤]

وقد أفاد الكتاب والشعراء قديما وحديثا من طبيعة فن الكتابة على لسان الحيوان باتخاذها قناعا يمكنه من قول ما يريد دون خوف من حاكم يبطش به أو خجل من صديق يعتب عليه ويكون ذلك فى إطار من الهزل والجد معا " وفى هذا حسن تصرف ولباقة وإقناع وتهذيب وبعد عن المساءلة تحت ستار الرمز وربما كان هذا هو الذى يدعو شعراء اليوم إلى الإيغال فى الرمز لحد الغموض لشعورهم بعدم حرية التعبير أو أن هناك شيئا يهدد حياتهم وألسنتهم " [١٥]

لقد برع " شوقى " فى استخدام هذا القناع إلى حد جعل بعض الدارسين يذهب إلى أن هذه القصائد المحكية على لسان الحيوان تتميز بسمات رمزية يصعب على الأطفال – أحيانا – فهمها إلا بواسطة معلم وأن بها ألفاظا لا يتسع لها قاموس الطفل اللغوى ولا الإدراكى ، لكنها تبقى فى النهاية دعوة طيبة من " أحمد شوقى " منذ نهايات القرن التاسع عشر الميلادى إلى ضرورة توجيه الأدب للطفل بالتعاون بين معشر الأدباء لقيام جنس أدبى للطفل .

وقد كانت حكاياته محملة بهذه الرموز ولم تقف عند حد العبرة والعظة بالدوران فى إطار تعليمى وتلقين القيم والمعارف والآداب الحميدة والعظات المباشرة مثل أقرانه ممن كتبوا حكايات على لسان الحيوان وهو الوحيد من بين هؤلاء الذى كانت حكاياته محملة بالأدب الرمزى فى إطاره الحكيم [١٦] .

- ٣ -

قيم خلقية

إن السؤال الذى يطرح نفسه على البحث : ما أهم القضايا التى طرحها " شوقى " وناقشها فى هذه الحكايات على لسان الحيوان؟

كان " شوقى " مشغولا بالنفس الإنسانية والخصال التى تستقر بهذه النفس وهذه الخصال منها ما يتعلق بالإنسان الفرد ومنها ما يتعلق بالمجتمع والأمة بأسرها ، ومن هذا وذاك خصال مقبولة وأخرى مرزولة، و" شوقى " يرمى من وراء حكاياته إلى ترسيخ مكارم الأخلاق .

والخلق فى الأساس خلقان ؛ خلق لازم فى حياة الناس وفى السعى إلى الأرزاق لا تصلح الحياة إلا به " أما الفضائل فضرب من الكمال وزيادة فى العطاء وهذا هو الشق الثانى من الأخلاق التى نعنيها عند " شوقى " والذى يقع به الفضل والتمايز بين الناس لأنه يتقاضى الناس شيئا من الجهد والمشقة لا يستطيع إلا أولو العزم فى الحياة ، فالفضل - لغة - هو الزيادة وما سمى فضلا إلا لأنه يتقاضى الناس زيادة غير مطلوبة فى التصرف وجهدا لا تقرره القوانين " (١٧)

فـ " شوقى " حريص على الخلق الكريم وعلى فضائل القيم ؛ فالعالم بلا قيم يمهد - بالأساس - لقيم خطرة وحيوانية شرسة ، والقيم الإنسانية فاعلة تشكل أدوات استعمال الإنسان الإيجابى والحضارى ، وبفعل التراكم القيمى والامتدادات الزمنية تتعرض هذه القيم إلى فقد بريقها المرتبط - مباشرة - بشروطه المرحلية لا غير (١٨)

وكان " شوقى " لا يوجه - فى علاقاته الاجتماعية والأسرية على وجه الخصوص - لوما وتوبيخا ونصحا ، بل كان يبث ذلك بثا

فى ثنايا كلامه ، وكان يقول : " إن اللين يفعل بالمرء مالا تفعله الشدة " فكان يعرض ما يريد كأنه يتحدث فى أمر عام [19]

ومن هذه الفضائل التى أراد " شوقى " أن يرسخها فى الناس تقديم العون إلى المحتاج دون انتظار للجزاء ودون علم المعطى وقد صاغ هذا المعنى فى حكاية " العصفور والغدير المهجور " [20] حيث عثر العصفور على مجرى مائى مختبئ بين الآكام يسقى ما حوله ولا يدرى أحد من أين هذا النبع ، وشرب العصفور حتى ارتوى ثم استأذنه أن يخبر الإنسان عن مكانه لينال خيره ويشكر فضله :

فالتفَتَ الغديرُ للعُصفورِ ... وقال يُهدِى مُهجَةَ المَغْرُورِ
يأيُّها الشاكِرُ دونَ العالَمِ ... أمَّنَكَ اللهُ يَدَ ابنِ آدمِ
النّيلُ - فاسمعْ ، وافهمِ الحديثا - ... يُعطِى ، ولكنْ يأخُذُ الخبيثا
مِن طُولِ ما أبصرَهُ الناسُ نُسِى ... وصارَ كلُّ الذكرِ للمهندِسِ
وهكذا العهدُ يوُدّ الناسى ... وقيمةُ المحسِنِ عندَ الناسِ
وقد عَرفتَ حالتى ، وضِدّها ... فقلْ لِمَن يسألُ عنّى بَعدَها
إنْ خفِىَ النافعُ فالنفعُ ظَهرْ ... يا ... مَن صَافَى ، وصُوفِى ، واستَتَرْ !

وفى حكاية " الكلب والحمامة " [21] تقدم الحمامة فضلا عميما للكلب بإنقاذه من الثعبان الذى كان يتسلل من خلفه وهو نائم فنزلت الحمامة ونقرت الكلب فهب قائما :

فحمِدَ اللهَ على السلامَهْ ... وحَفِظَ الجميلَ للحمامَهْ

ورد الكلب هذا الجميل للحمامة عندما جاء البستانى يريد اصطياد الطيور :

فسَبَقَ الكلبُ لتلك الشجرَهْ ... ليُنذِرَ الطيرَ كما قد أنذرَهْ
واتخذ النَّبحَ له علامَهْ ... ففهمَتْ حديثَهُ الحمامهْ
وأقلعتْ فى الحالِ للخلاصِ ... فسَلِمتْ من طائرِ الرّصاصِ
هذا هو المعروفُ يأهلَ الفِطَنِ ... الناسُ بالناسِ ، ومَن يُعِن يُعَنْ !

وتبدو هذه الفضيلة أيضا على لسان " دلفين "[٢٢] عندما مل حارس المنار وتعب من هذه الخدمة التى يهدى بها الضالين :

ودنا " دلفين " من الـ حارس ثمّ اقتربا

...

فقال يا حارس خلّ الـ سخطَ والتعبا
من يسعف الناسَ إذا نودى كل فأبى
وضاق بالإسعاف مَن كان لذاك انتدبا
ما الناسُ إخوتى ولا آدمُ كان لى أبا
انظر إلىّ كيف أقـ ضى لهم ما وجبا
قد عشتُ فى خدمتهم ولا ترانى تعبا
كم من غريق قمتُ عنـ د رأسه مطببا
وكان جسما هامدا حركتُه فاضطربا
وكنت وطأتُ له مناكبى فركبا
حتى أتى الشطّ فبشـ ش من به ورحبا

ومن الفضائل التى أشار إليها " شوقى " أن يثبت الإنسان على المبدأ ويحسن الظن بالآخرين مقدما يد العون ممتنعا عن إبداء السوء ؛ وقد أشار إلى هذه الفضيلة إشارة بالسلب فى مجموعة من الحكايات المتتالية يصور فيها هذا التناقض الذى يصدر عن البشر الذين تجتمع عندهم كل الفضائل الطيبة لحظة وقوع الخطر والإحساس به ثم تزول هذه الفضائل بزوال الخطر، ففى حكايته " السفينة والحيوانات"[٢٣] عاش " شوقى " بخياله مع الحيوانات التى ركبت السفينة مع نوح عليه السلام :

جَرى بها ما لا جَرَى ببالِ فما تعالى الموْجُ كالجبالِ
... حتى مَشَى اللّيْثُ مع الحِمارِ وأخَذ القِطُّ بأيدِى الفارِ
واستَمَعَ الفيلُ إلى الخِنزيرِ مُؤتَنِساً بصوتِه النّكيرِ
وجلس الهِرُّ بجنب الكلب وقبَّل الخروفُ نابَ الذِّئبِ

وعَطـفَ البـازُ عـلى الغـزالِ ... واجـتمع الـنملُ عـلى الأكّـال
وقلّـت الفـرْخةُ صُـوفَ الثعلب ... وتـيّمَ ابـن عِـرْسَ حُـبُّ الأرنـبِ
فـذهبَـتْ سـوابقُ الأحـقـاد ... وظَهـر الأحـبابُ فـى الأعـادى

لم تـدم هـذه الحـياة طويـلا ، فـبمجرد نـزولهم إلى الأرض واسـتواء السـفينة عـلى الجـودى غلـب الطبع عـلى التطبع فعـادوا إلى حيث كانـت شيمهم الأولى :

فقِـسْ عـلى ذلـك أحـوالَ البشـرْ ... إن شمِـلَ المحـذورُ ، أو عَـمَّ الخَطَـر
بيْـنا تـرَى العـالَمَ فـى جهـادِ ... إذ كلـهم عـلى الـزمـان العـادى

و" شـوقى " يؤكـد هـذه الفطـرة الـتى جبلت عليها المخلوقات فى قصـة " الكلـب والقطـة والفـأر " [٢٤] الـتى تحكـى قصـة فـأر رأى الكلـب متربصا بالقط فشاغل الأول حتى فر الأخير :

فحـاولَ الفـأرُ اغتـنامَ الفُرصـه ... وقـال أكفِـى القِـطّ هـذِى الغُصّـة
لعلـه يَكتُـبُ بـالأمـانِ ... لى ولأصـحـابى مـن الجـيران

وعلى الـرغم مـن هـذا الصنيع الـذى يحمّـل القـط جمـيلا تجاه الفأر فإنه لم ينس طبيعته وعاد إلى فطرته بمجرد استجماع قوته :

فقـال : حقّـا هـذه كـرامَـه ... غـنـيمةٌ وقـبلَـها سَـلامه
يَكـفـيك فخـراً يـا كـريم الشّـيمَه ... أنـك فـأرُ الخطْـب والـولـيمـه
وانقـضَّ فـى الحـالِ عـلى الضّعيفِ ... يأكـلُـه بـالمِـلحِ والـرغـيـف
فقلـت فـى المقـام قـولاً شـاعا ... " مَـنْ حفـظَ الأعـداءَ يومـاً ضاعا "

وهـذا عيـنه هـو مـا صـنعه التـيس عـندما اسـتعان بالذئـب لـيحكم بين الغزال والخروف عندما تنازعا فيما بينهما [٢٥] :

وقـادَه للموضِـع المعـروفِ ... فقـامَ بـين الظّـبيِ والخـروفِ
وقـال : لا أحكـمُ حَسْـبَ الظـاهـرِ ... فمـزّقَ الظَّبْيَـيْن بـالأظـافِـر
وقـال للتـيْس : انطلـقْ لِشـأنِكـا ... مـا قـتل الخَصْـمَيْن غـيْرُ ذَقـنكا!

و" شوقى " فى هذا يذكرنا بالحكمة التى وضعها أمام أعيننا " ابن المقفع " ، يشير فيها إلى ضرورة الاحتراز من صحبة الأشرار والثقة بهم لأنها تنتج مالا يحمد عقباه ، وقد استدل بها ابن حمدون فى " التذكرة الحمونية " حيث يقول :

" قال صاحب كليلة ودمنة : صحبة الأخيار تورث الخير، وصحبة الأشرار تورث الندامة، كالريح التي إذا مرت على الطيب حملت طيباً، وإذا مرت على النتن حملت نتناً ، والعاقل لا تبطره منزلة أصابها كالجبل الذي لا تزلزله شدة الرياح . قال " عثمان بن أبي العاص ": الناكح مغترس فلينظر امرؤ أين يضع نفسه. وقالت " هند بنت عتبة ": المرأة غل لابد منه للعنق فانظر من تضعه في عنقك.

ومن كلام الحكماء: من ترك ما لا طاقة له به كان أستر لمكتوم أمره وأبقى للآمال فيه. لا تشعر قلبك الغم مما فات فيشغل ذهنك عن الاستعداد لما تأتي به الأيام، وكن بحسن الظن بما عند الله تعالى أوثق منك بما في يديك فإنك تضن بما تملك وذلك على الله يسير، وفي كل حركة وساعة أمر حادث وقدر جار بتبديل الأحوال وتنقل الدول. تجنبوا المنى فإنها تذهب ببهجة ما خولتم، وتستصغرون مواهب الله عندكم وتعقبكم الحسرات على ما أوهمتموه منها أنفسكم، وهي مكيدة من مكايد إبليس للعبد، وختل له عن الشكر، واستدراج إلى استصغار عظيم المواهب " .

وقد فطنت الأرنب إلى ما وقع فيه التيس من خطأ ورفضت الاستعانة ببنت عرس التى عرضت عليها المساعدة فى الولادة فوق سفينة نوح :

... جاءَت عجوزٌ من بَناتِ عِرسِ تقولُ : أفدِى جارَتى بنفسي

أنا التى أرْجَى لِهدِى الغايـة — لأنـنى كنـتُ قديمـاً " دَايَـةْ"
فقالـتِ الأرنـبُ : لا يـا جـارَه — فـإن بعـدَ الألفـةِ الـزِّياره
مـالى وُثـوقٌ ببنـاتِ عِـرْسِ — إنـى أريـدُ دايـةً مـن جنسي![36]

وإذا تحـدث " شـوقى " عـن فضـيلة الإيـثار ومـد يـد العـون للآخرين بـلا جـزاء ولا شـكور فإنـه أشـار سـلبيا إلى الأنانـية وحـب الـذات الـذى رآه فـى ابنـته " أمينـة " الطفلـة الصـغيرة وهـى تعـامل كلـبها الصـغير[37] ، فعلى الـرغم مـن أنهـا تحـب كلـبها لكـنها تعاملـه معاملـة قاسية ، فإذا طلبت من أبيها طعاما له :

قالـت : غلامـى يـا أبـى جَوْعـانُ — ومـا لـهُ كمـا لـنا لِسـانُ
فمُـرهُمُو يَـأتُوا بخـبزٍ ولـبـنْ — ويُحضِـروا آنِـية ذاتَ ثمـنْ
فقُمـتُ كالعـادةِ بـالمطلـوب — وجئـتُها أنظُـر مـن قريـب

وإذا جاءها الطعام حتى تطعم كلبها استكثرته عليه :

ثـم أرادَتْ أن تـذوقَ قـبلـه
فاستطْعَمَتْ بنـتُ الكِـرام أكلَـه
هُـناكَ ألقـتْ بالصَّـغيرِ للـوَرا
واندَفعـتْ تـبكى بُكـاءً مُفْـترى
تقـول : بـاب، أنـا (دَحَّـا) وهْـوَ (كُـخّ)
معـناه : بابـا ، لىَ وحْـدِى مـا طُـبخ
فقـلْ لمـنْ يَجهَـل خَطْـبَ الآنـية
قـد فُطِـرَ الطِّفـلُ علـى الأنانِـيَّه

وينـبه " شـوقى " إلى صـفة الحقـد والحسـد فيسـوق لـنا حكايـة " الكلـب والبـبغاء " [38] ، فالبـبغاء كانـت رفـيعة القـدر لـدى مولاهـا يحـبها كـل مـن يلقاهـا وهـذه المكانة العالـية التى احتلـها البـبغاء أرخصت من شأن الكلب مما أشعل قلبه حقدا وغيظا وحسدا :

فجاءَهـا يومـًا علـى غِـرارِ — وقلـبُهُ مـن بُغضِـهـا فـى نـارِ

وقال : يا مليكةَ الطُّيورِ ... ويا حياةَ الأُنسِ والسرورِ
بحسنِ نُطقِكِ الذى قد أصبي ... إلا أريْتنِى اللّسان العذْبا
لأننى قد حِرْتُ فى التفكُّر ... لمّا سمعتُ أنه من سُكّر!
فأخْرَجتْ من طيشِها لسانها ... فعضّهُ بنابه ، فشانُها
ثم مضى من فورِهِ يصيحُ : ... قطعتُه لأنه فصِيحُ !
وما لها عندىَ من ثأرٍ يُعدّ ... غيرَ الذى سمّوْهُ قِدْمًا بالحسدْ!

إن هذا الكلب الحاقد على الببغاء تمتلئ نفسه حقدا وغلا وحسدا لا يمكن ستره ، وهذه قصة تذكرنا بما استدل به " ابن حمدون " فى " التذكرة الحمدونية " - أيضا - مما كتبه " ابن المقفع " عن الحقد والحسد وأسباب ذلك ومظاهره فيقول :

" قال صاحب كليلة ودمنة : مَثل الحقد في القلب ما لم يجد محركاً مَثل الجمر المكنون، وليس ينفك الحقد يتطلع إلى العلل كما تبتغي النار الحطب، فإذا وجد شيئاً استعر ثم لا يطفئه مال ولا كلام ولا تضرع ولا مناصفة ولا شيء غير تلف تلك الأنفس. وقال: لا يزيدك لطف الحقود بك، ولينه لك، وتكرمته إياك إلا وحشة وسوء ظن، وإنك لا تجد للحقود الموتور أماناً هو أوثق من الذعر، ولا أحرز من البعد والاحتراس منه ".

ومن الخصال التى رفضها " شوقى " وناقشها فى حكاياته الغرور وإعطاء الذات أكثر من حجمها واحتقار المحيطين كما فى حكاية " دودة القز والدودة الوضاءة " [٢٩] حيث طلبت دودة القز صحبة الدودة الوضاءة اغترت ورفضت وتعالت عليها :

قالت : عَرَضتِ علينا ... وجهًا بغيرِ حياءِ !
مَن أنتِ حتى تُدانى ... ذاتَ السّنا والسّناءِ ؟!
أنا البديعُ جمالى ... أنا الرفيعُ عَلائى
أين الكواكبُ منى ؟! ... بل أين بدرُ السماءِ ؟!

فامضي ؛ فلا وُدّ عندى ... إذ لستِ من أكفائى!

لكنه لا يترك الأمر يمر هكذا بدون مناقشة منطقية وسوق للأدلة :

وعند ذلك مرّتْ ... حسناءُ معْ حسناءِ
تقولُ : اللهِ ثوبى ... فى حُسنِه والبَقاءِ!
كم عندنا من أيادٍ ... للدودةِ الغراءِ!
ثم انثنتْ فأتتْ ذى ... تقولُ للحمْقاءِ :
هل عندكِ الآنَ شكٌ ... فى رُتبتى القَعساءِ؟!
وقد رأيتِ صنيعى ... وقد سمعتِ ثنائى؟!

ومن القيم التى أراد " شوقى " أن يبثها فى ثنايا حكاياته أن الحمول الحقيقية التى تثقل كاهل الإنسان هى الحمول التى ينوء بها الصدر ، وليست هى تلك التى ترهق الأبدان لثقل وزنها ، ويكون هذا الألم النفسى ـ فى أغلب الأحيان ـ عندما يتحمل الإنسان إثما ؛ كما تصور " شوقى " أنه حدث مع هدهد سليمان [٣٠] عندما جاءه يشتكى بذلة على بابه على أثر حبة بر أكلها فأصابته بغلة :

لا مِياهُ النّيلِ تُرْويـ ... ـها ، ولا أمواهُ دِجْلَه
وإذا دامَت قليلاً ... قتلتْنى شرُّ قِتْلَه

وإذا بسليمان الحكيم يشخص داء الهدهد بقوله :

قد جَنَى الهدهُدُ ذنْبا ... وأتى فى اللؤم فَعْلَه
تِلك نارُ الإثمِ فى الصّدْ ... رِ ، وذى الشكوى تَعِلّه
ما أرَى الحَبّة إلا ... سُرِقت من بيتِ نمله
إن للظالم صَدْرا ... يشتكى من غير عِلّه!

وقد صرح شوقى بثقل هذه الأحمال النفسية عند أصحابها على لسان " الثعلب " [٣١] الذى وعى هذه الحقيقة وقدم ـ من خلالها ـ النصيحة للجمل الذى مل العمل واستثقل الأحمال عند صاحبه الذى

يحمله فوق ما يطيق . لكن حكمة الثعلب كانت بادية بوضوح فى قوله :

فأنتَ خيرٌ من أخيكَ حالا لأننى أتعَبُ منك بالا
كأن قُدّامِىَ ألفَ ديكِ تسألنى عن دمها المسفوكِ
كأنّ خَلفى ألفَ ألفَ أرنبِ إذا نهضتُ جاذبتنى ذَنَبى
ورُبَّ أمٍّ جئتُ فى مُناخِها فجعتُها بالفتكِ فى أفراخِها
يبعَثُنى مِنَ مَرْقدى بُكاها وأفتحُ العيْن على شكواها
وقد عرفتَ خافيَ الأحمالِ فاصبِرْ وقلْ لأُمَّةِ الجمالِ :
لَيس بحملٍ ما يَمَلُّ الظهرُ ما الحِمْلُ إلا ما يُعانى الصَّدْرُ

و " شوقى " يعنى كل العناية بغريزة الأمومة فى حكاياته التى إذا صلحت صلحت الأمة وإذا فسدت فليس وراءها إلا الفساد فيصور لنا فى " ضيافة قطة " (٣٢) حرص الأم على أطفالها حديثى الولادة لكنه يتفهم ذلك فيطعمها ويدفئها ويحنو عليها :

لم أجزها بشِرَّةٍ عن غضبٍ وشِرَّة
ولا غيبتُ ضعفَها ولا نَسيتُ قُدْرَتى
ولا رأيتُ غيرَ أمٍّ بالبنينَ بَرَّة

إن ما صنعه " شوقى " مع هذه القطة - الأم - ليس مستغربا من نفسه الحانية وحسه المرهف ، فكان فى " شوقى " رقة وسماحة ووداعة، وكل هذا منعه من أن يحضر ليالى العزاء بعد وفاة أخته ، وكان يدفعه إلى الهروب من البيت عندما يمرض أحد أبنائه ويظل بالإسكندرية حتى يزول الخطر، وعندما توفيت والدته رثاها ولم ينشر مرثيته حتى مات ، ولم يذهب إلى حلوان بعد موت أمه فور مقدمه من المنفى (٣٣) .

وغريزة الأمومة وحب الوليد موروث فى قلب كل أم وكلهن يرين أولادهن أفضل الأولاد وأرقى الأجناس سواء أكان غزالا أم حمارا

ويبدو هذا فى حكاية " الغزالة والأتان "[٣٤] وحيث تقبل كل أم ولدها تحنو عليه وتعتنى به :

غزالةٌ مرّتْ على أتانِ ... تُقَبِّلُ الفَطِيمَ فى الأسنانِ
وكان خلف الظَّبْيةِ ابنُها الرَّشا ... يوُدُّها لوْ حَمَلتْه فى الحَشا
ففعلتْ بسيِّد الصِّغارِ ... فِعْلَ الأتانِ بابنِها الحمارِ
فأسرع الحمارُ نحوَ أُمِّهِ ... وجاءَها والضِّحْكُ مِلْءُ فمِهِ
يصيحُ : يا أُمَّاه ، ماذا قد دَها ... حتى الغزالةُ استَخفَّت ابنَها ؟!

وقد بلغ " شوقى " الغاية فى هذه المسألة فى حكاية " الغصن والخنفساء "[٣٥] حيث يفخر الغصن بجماله وحسن قده :

فأقبلت " خُنْفُسَةٌ " تنثنى ... ونجلُها يمشى بِجنبِ الكبِدْ
تقول : يا زَيْنَ رياضِ البَها ... إنّ الذى تطلُبُهُ قد وُجِد
فانظرِ لقَدِّ ابنى ، ولا تفتَخر ... ما دام فى العالم أُمٌّ تَلد!

لذلك كان " شوقى " يعنى بحسن تربية الصغار فينصح الأمهات بعدم الاستعجال فى تعليم أبنائهن الطيران فيحكى قصة "القبرة وابنها "[٣٦] الذى تعلمه الطيران وتسدى إليه بعض النصائح :

لكنّهُ قد خالف الإشارهْ ... لمّا أراد يُظهرُ الشّطاره
وطار فى الفضاءِ حتى ارتفعا ... فخانه جَناحُه فوقعا
فانكَسَرَتْ فى الحالِ رُكبتاهُ ... ولم يَنلْ منَ العُلا سُناهُ
ولو تأنى نالَ ما تمنّى ... وعاشَ طولَ عُمرِهِ مُهَنّا
لكلّ شىءٍ فى الحياة وقتُهُ ... وغايةُ المسْتَعْجلين فوْتُه!

ويقسو " شوقى " على واحدة من أمهات الغربان التى يرميها بأنها قتلت ولدها بعكس الأمهات الأخريات اللائى يذدن عن أبنائهن :

مِنْ أُمِّهِ لقى الصغيرُ منَ البَليّةِ ما لقِى
جَلَبَتْ عليهِ ما تَذودُ الأمهاتُ وتَتّقى
فُتِنت بهِ ، فتَوَهَّمَتْ فيه قُوىً لم تخلق
قالت : كبِرْتَ ، فثِبْ كما وثبَ الكِبارُ ، وحَلِّق
ورَمَتْ به فى الجوِّ ، لم تَحرِصْ ، ولم تَستَوثِق

فَهَوى ، فمُزِّق فى فِنا ... ءِ الدارِ شرَّ مُمزَّق

...

أطلقتِه ، ولو امتحنـ ... ـتِ جَناحَه لم تُطلِقى
وكما تَرَفَّقَ والِدًا ... كِ عليكِ لم تَتَرفَّقى!

إن ما صنعته هذه الأم يدخل فى باب الحمق الذى قتل ولدها ومن هذا الباب من لا يعرف قدر نفسه مغترا بها فيلاقى المهالك ، من ذلك ما كان من أمر البغل فى حكاية " البغل والجواد " (٣٧) حيث لم يعرف لنفسه قدرها وراح يكذب ويفترى زاعما أنه كان يرقص بالأمس تحت صاحبه خيرا من جواد مدرب فلم ينل غير السخرية من الجواد :

فضَحِكَ الحِصانُ من مقالِهِ ... وقال بالمعهودِ من دلالِهِ :
لم أرَ رقصَ البغلِ تحتَ الغازى ... لكن سمعتُ نقرَةَ المِهمازِ!

ومن قبيل هذا الحمق أيضا ما صنعه الحمار حين طرح مولاه أرضا فى موكب مهيب ولا يدرى أنه وقع منه بذلك أمر جلل :

أتى ثعالَةَ يومًا ... من الضَّواحى حِمارُ
وقال إن كنتَ جارى ... حقًا ونعمَ الجارُ
قُل لى فإنى كئيبٌ ... مُفكِّرٌ مُحتارُ
فى موكبِ الأمسِ لمَّا ... سِرنا وسارَ الكِبار ...
... طرَحتُ مولاى أرضًا ... فهل بذلك عارُ
وهل أتيتُ عظيمًا! ... فقال : لا ياحِمار! (٣٨)

والأرنب الأحمق أيضا يقتله حمقه (٣٩) حيث رأى الديك يسب الثعلب وهو لا يستطيع أن يصنع له شيئا فنسى أن الديك (يغلب بالمكان لا الإمكان) تجرأ على الثعلب فراح يلعنه مثل الديك :

فعَصَفَ الثعلبُ بالضعيفِ ... عَصْفَ أخيه الذِّيبِ بالخروف
وقال : لى فى دَمِكَ المسفوكِ ... تَسليةٌ عن خيبتى فى الديكِ !
فالتفتَ الديكُ إلى الذبيح ... وقال قولَ عارفٍ فصيح
ما كلُّنا يَنفعُهُ لسانُهُ ... فى الناسِ مَن يُنطقُه مَكانُهُ !

- ٤ -
هموم الوطن

ومما شهر به " شوقى " قضية الوطن التى لخصها على لسان عصفورتين [٤٠] وقد حاول الريح الذى سرى من ناحية اليمن حملهما إلى هناك على أن يتركا وطنهما فى الحجاز لقسوة الحياة هنا وطيب العيش هناك :

قالتْ لـه إحداهمـا ... والطَّيْرُ مِنهنَّ الفطِن
يا ريحُ أنتَ ابنُ السَّبيـ ... ـل ، ما عَرَفتَ ما السَّكن
هَبْ جنةَ الخُلدِ اليمن ... لا شىءَ يَعدِلُ الوطن!

لكنه كان مؤرقا بما أصاب الوطن من احتلال الغرباء له وفساد أصاب أهله ، والحكام من أبنائه يتعاونون مع المستعمرين ليغتالوا الحريات ويقضوا على الشعب المصرى أن يعيش فى أغلال العبودية دون طموح إلى الحرية لكن هذا الصراع بين الأمل فى الحرية واستعذاب الخنوع والخضوع ظل قائما فصوره " شوقى " فى حكاياته ؛ من ذلك قصة " الحمار والجمل " [٤١] حيث أصابهما ملل من العبودية وطمحا نحو الحرية فانطلقا إلى الصحراء يبحثان هناك عن الحرية :

وبعدَ ليلةٍ من المسيرِ ... التفتَ الحِمارُ لِلبعيرِ
وقال : كربٌ يا أخى عظيمُ ... فقفْ ؛ فمشيي كلُّهُ عقيمُ !
فقال : سَلْ فِداكَ أمّى وأبى ... عسى تَنالُ بى جليلَ المطلبِ
لابُدَّ لى من عَوْدة للبَلدِ ... لأننى تركتُ فيه مِقوَدِى!
فقال سر والزَمْ أخاكَ الوتِدا ... فإنما خُلِقْتَ كى تُقيَّدا

فإذا صور " شوقى " فى هذه الحكاية هذا الصراع بين طلب الحرية والرضا بالعبودية فى نظر الجمل والحمار فإن هذه نفسها هى الحال التى كان عليها الشعب المصرى فى ذلك الوقت ، وقد أكد " شوقى " هذه الثنائية فى حكاية " أمة الأرانب والفيل " [٤٢] فعندما اعتدى الفيل على وطن الأرانب :

وكان فيهم أرنبٌ لبيبُ ... أذهَبَ جُلَّ صُوفِه التَّجريب
نادى بهم : يا مَعشرَ الأرانبِ ... من عالِمٍ ، وشاعرٍ ، وكاتب
اتَّحِدوا ضِدَّ العَدُوِّ الجافى ... فالاتحادُ قوّةُ الضِّعاف

راحت الأرانب تتشاور فيما بينها عما يجب فعله تجاه عدوان الفيل ، فبعد انتخاب ثلاثة من العاقلين راح يدلى كل منهم بدلوه ساعيا إلى حل المشكلة ومواجهة الأزمة ، لكنهم انقسموا فيما بينهم :

فنهض الأوّلُ للخِطاب ... فقال : إنّ الرأى ذا الصواب
أن تُترَكَ الأرضُ لذى الخُرطومِ ... كى نستريحَ من أذى الغَشوم
فصاحَت الأرانبُ الغَوالى : ... هذا أضَرُّ من أبى الأهوال
ووثبَ الثانى فقال إنى ... أعهَدُ فى الثعلبِ شيخَ الفنّ
فلندْعُه يُمِدّنا بحِكمتِهْ ... ويأخذ اثنيْنِ جزاءَ خدمتِه
فقيل : لا يا صاحب السُّموّ ... لا يُدفَعُ العدوُّ بالعدوّ
وانتَدَبَ الثالثُ للكلامِ ... فقال : يا معاشِرَ الأقوامِ
اجتمِعوا ؛ فالاجتِماع قوّة ... ثم احفِروا على الطريق هُوّة
يهوى إليها الفيلُ فى مرورِه ... فنستَريحُ الدهرَ من شرورِه
ثم يقولُ الجيلُ بعدَ الجيلِ ... قد أكلَ الأرنبُ عقلَ الفيل
فاستَصْوَبوا مقالهُ ، واستحْسَنوا ... وعملوا من فَوْرِهم ، فأحسَنوا
وهلكَ الفيلُ الرفيعُ الشّانِ ... فأمستِ الأمّةُ فى أمان
وأقبلَتْ لِصاحِبِ التدبيرِ ... ساعيَةً بالتاجِ والسرير
فقال : مهلاً يا بَنى الأوطانِ ... إنّ محلّى لَلمَحَلُّ الثانى
فصاحبُ الصّوتِ القوىّ الغالبِ ... مَنْ قد دعا : يا مَعشَر الأرانِبِ

فـ " شوقى " فى هذه الحكاية يناقش مجموعة من القضايا التى تمس الوطن عن قرب مشيرا إلى أنه لابد من الاتحاد فى البداية لمواجهة أى خطر واقع على الوطن ، ثم لابد من ترشيح الحكماء العاقلين الذين يرون مصلحة الوطن فوق مصلحتهم الشخصية ، لكن الكلمة العليا لابد أن تكون للشعب ؛ فهو الذى يرشح هؤلاء المنتخبين انتخابا ديموقراطيا

سليما ، وهو الذى يوافق على آرائهم أو يرفض ما يقترحون ، عند التنفيذ لابد أن يكون بصورة جماعية بأيدى الوطنيين دون التعاون مع الأعداء .

إن ما صنعه الفيل مع أمة الأرانب يمثل اتجاها استعماريا سافرا غشوما ، أما الديك الهندى فكان أكثر دهاء وأدرى بأمور السياسة فى تصرفه مع الدجاج البلدى عندما أراد أن يحتل بيتهم (٤٣) وهو يشبه فى هذا الاستعمار الإنجليزى الذى كان يحتل مصر آنذاك ، حيث كان يرفع شعار المهادنة وسياسة الوفاق ، ويدعى أن مصر ستحصل على استقلالها بعد انتهاء الغرض من قدومهم وهو استتباب الأمن وانتهاء الخطر على مصر .

فالديك الهندى (المستعمر) جاء إلى الدجاج البلدى (المواطن) بوصفه ضيفا ، وهو يعلم جيدا مدى الجود والكرم الذى يتسم به هذا الدجاج البلدى :

يقولُ : حيّا اللهُ ذى الوُجُوها	ولا أراها أبداً مكرُوها
أتيْتُكم أنشُرُ فيكم فضلى	يوماً ، وأقضى بَينكم بالعدْلِ
وكلُّ ما عِندكُمْ حرامُ	علىَّ ، إلا الماءُ ، والمنامُ
فعاودَ الدَّجاجَ داءُ الطَّيْشِ	وفتحت للعلجِ بابَ العُشّ

وبعدما فتحوا له البيت وأقام فيه بدأوا يستشعرون الخطر فى أثناء نومهم ، فهم لم يحاذروا من التعامل مع الأجنبى وهذا ما قصد إليه " شوقى " من هذه الحكاية ، حتى :

صاحَ بها صاحبُها الفصيح	يقولُ : دامَ منزلى المَليحُ!
فانتبهتْ من نومِها المَشئوم	مذعورَةً من صيحةِ الغَشوم
تقول : ما تِلكَ الشروطَ بيننا	غَدَرْتنا واللهِ غدراً بيّنا !
فضَحِكَ الهنْدِىُّ حتى استلقى	وقال : ما هذا العَمَى يا حَمْقى!

مــتــى ملكـــتُمْ ألْسُـــنَ الأربـــابِ؟   قــد كــان هـذا قبل فـتحِ الـبابِ!

هـناك فـرق كـبير بـين المحـتل قـبل مقدمـه وبعـد تمكـنه واسـتقراره ، وهــذا مــا يــريد " شــوقى " أن يحــذر مــنه المصـريين، ولهجــة الديــك فـى تظاهـره بالضـعف ، وزعمـه الرغـبة فـى الخـير، وتوكـيده أن إقامـته موقوتـة تتفق تماما مع وعود الإنجليز لذلك العهد ولهجتهم مع المصريين .

" ثـم يحـدث فـى الحكايـة مـا يشـبه " الـتحول " فـى المسـرحية ، حـين يفـتح الدجــاج الــباب لهــذا " الهــندى " ، ولكــن " شــوقى " يطـور الحالـة النفسـية فـى بـطء لكـل مـن الفـريقين ، فتـبدو المخاطـر أولا هواجـس فـى أذهــان الدجــاج ، قـبل أن تصـبح حقــائق مـروعة ، عــلى حـين يغـير الهــندى مــن مســلكه قلــيلا قلـيلا ، وهــو رضــى الــنفس واثــق مــن عاقـبة مسـلكه مـع هـؤلاء الأغـرار . ثـم يفاجـأ الغـافلين بالكشـف عـن حقـيقة قصده وهم مستغرقون فى نوم الغفلة ليستيقظوا منه بعد فوات الأوان " [٤٤]

وتعـد قصـيدة " بـين الحجـاب والسـفور "[٤٥] مـن أهـم مـا كتـب " شـوقى " فـى هـذا الـباب مـع أن عـنوانها الـذى نشـرت بـه فى الشوقيات لم يكـن معـبرا عـن موضـوعها الحقـيقى خصو سا أن هـذا الطائـر السـجين الذى ذكـره " شـوقى " فــى هــذه القصـيدة كـان يرمـز بــه إلى " إبراهـيم ناصـف الوردانـى " وهـو فـى محبسـه بعـد اغتـياله " بطـرس غـالى " رئـيس الـوزراء فـى ذلـك الوقـت وكـان ذلـك فـى العشـرين مـن فـبراير ١٩١٠م ردا عـلى معـتقدات " بطـرس غـالى " السياسـية وتصـرفاته تجـاه المسـتعمر ، إذ كـان يـرى مـن الحكمـة مصـانعة هـؤلاء المحـتلين وتنفـيذ السياسـة المرسـومة مـن قبـلهم ومـا اسـتتبع ذلـك مـن مصـادرة لـلحريات فكتـب " شـوقى " هـذه القصيدة بعد تنفيذ حكم الإعدام فى الوردانى :

صــدّاحُ ، يــا ملــكَ الكَــنــا   رِ ، ويـــا أمــــيـرَ البُلــبــل
قـــد فـــزتُ مـــنك (بمعـــبد)   ورُزقـــتُ قـــربَ (الموصـــلى)

...

يـا ليـت شـعرىَ يـا أسـيـ ـــرُ، شَـجٍ فـؤادُك، أم خَـلى ؟
وحلـيفُ سـهدٍ، أم تـنا مُ الليـلَ حـتى يَـنجلى ؟
بالـرغم مـنى مـا تُعا لـجُ فـى الـنحاس المقفَـل

...

مـا كنـتُ يـا (صـدّاحُ) عـنـ ـدكَ بالـكـريـم المُفضـل
شـهْدُ الحـياةِ مـشوبـةً بالـرّق؛ مـثلُ الحـنظل
والقـيدُ لـو كـان الجمـا نَ مـنظمـا لـم يُحـمَل
يـا طـيرُ، لـولا أن يقـو لـوا: جُـنّ؛ قلـتُ: تعقَّـل

ومما شغل " شوقى " به نفسه من قضايا الوطن عبث اللورد كرومر وقضايا الوطن وظلمه لأهله ، فـ " شوقى " يتهكم عليه ساخرا من شغفه بصغار الحمام وهو فاقد الثقة به ويظن أنه يربيها لتصبح جوارح تنهش لحوم الشعب :

يـا ليـت شـعرى والأفهـام حائـرة مـا غـية اللـورد فـى تلـك الزغالـيل
إنـى لأخشـى إذا ربـى خوافـيها أن تستحيل إلى طيـر أبابيـل[٤٦]

ثم يذكر اللورد بما جرى فى دنشواى ويحذره من أن أهل مصر ليسوا بالسهولة التى يتصورها :

أيـا لـورد فـى طـول الـبلاد وعرضـها زغالـيل مـن حـر الفـراق تطـير
فكـلها إذا حطـت لديـك بلـندن فأمـثالها فـى دنشـواى كثـير
ولكـن هـذى هضـمها فـيه راحـة وتلـك لعمـرى هضـمهن عسـير[٤٧]

و" شوقى " يعنى بالحكام عنايته بالشعب ، بل يعنى ببطانة هؤلاء الحكام الذين يسدون إليهم النصائح ؛ صائغا حكمة " ابن المقفع " فى فلسفة التعامل من قبل الملوك تجاه حاشيتهم والانتصاح بنصائحهم والثقة فى نوايا المخلصين منهم، وقد استعان " ابن حمدون " فى التذكرة الحمدونية بحكمة " ابن المقفع " تلك فقال :

" وقال صاحب كليلة ودمنة: خير الأعوان والأخدام أشدهم مبالغة في النصيحة وخير الأعمال أجلها عاقبة، وخير الثناء ما كان على أفواه الأخيار، وخير الأصدقاء من لا ينافق، وخير الأخلاق أعونها على الورع، وأفضل السلطان ما لم يخالطه بطر، وأغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً، وأعجز الملوك آخذهم بالهوينا وأقلهم نظراً في العواقب.

وقال: من بلغ جسيماً فلم يبطر؟ ومن اتبع الهوى فلم يعطب؟ ومن جاور النساء فلم يفتن؟ ومن صحب السلطان فلم يعنت؟ ومن طلب إلى اللئام فلم يهن؟ ومن واصل الأشرار فسلم؟ ".

و" شوقي "في حكاية " ملك الغربان وندور الخادم "[٤٨] يصور هذا الخادم الأمين الذى ينصح مليكه محذرا إياه من مقدم العدو ، إذ رأى " سوسة " تحوم حول النخلة التى يستقر فوقها عرش الغراب - الملك - لكنه لم يعبأ بما قاله الخادم ، فأصابه الغرور :

ضَحكَ السُّلطانُ منى من هذا المَقال ... ثم أدنى خادمَ الخيرِ ! وقال :
أنا رَبُّ الشَّوكَةِ الضافى الجَناح ... أنا ذو المنقارِ ، غَلابُ الرياح
" أنا لا أنظرُ فى هَذى الأمور " ... أنا لا أبصر تحتى يا نُدور !

ومرت السنون وهوت النخلة بفعل الرياح على أثر صنيع السوسة القديم :

فَدهَا السُّلطانَ ذا الخَطْبُ المَهول ... ودعا خادمَهُ الغالى يقول:
يا نُدورَ الخير ، أسعِفْ بالصياح ... ما تُرى ما فعلَتْ فينا الرياح؟
قال : يا مولاى ، لا تَسأل نُدور ... " أنا لا أنظرُ فى هذِى الأمور "!

إن هذه النتيجة التى آل إليها عرش الغراب نتيجة طبيعية لاستئثار الملك بالرأى وعدم أخذ المشورة والإفادة من نصح الناصح الأمين الخبير بأمور لم يعرفها الملك ، كما أن النتيجة نفسها تقع - كذلك -

فى حال الاستعانة بحاشية غير أهل لهذا العمل ، وهذا عينه ما أشار إليه ابن المقفع ونقله "ابن حمدون" فى " التذكرة الحمدونية " حيث يقول :

" قال صاحب كليلة ودمنة : رأس الحزم للملك معرفته بأصحابه وإنزالهم منازلهم، واتهام بعضهم على بعض، فإنه إن وجد بعضهم إلى إهلاك بعض سبيلاً. أو إلى تهجين بلاء المبلين. وإحسان المحسنين. والتغطية على إساءة المسيئين. سارعوا إلى ذلك. واستحالوا محاسن أمور المملكة، وهجنوا مخارج رأيه. ولم يبرح منهم حاسد قد أفسد ناصحاً. وكاذب قد اتهم أميناً. ومحتال قد أعطب بريئاً. وليس ينبغي للملك أن يفسد أهل الثقة في نفسه بغير أمر يعرفه، بل ينبغي في فضل حلمه وبسط علمه الحيطة على رأيه فيهم، والمحاماة على حرمتهم وذمامهم، وأن لا يسرع إلى إفسادهم ولا يغتفر مع ذلك زلة زلها أحد منهم، ولم يزل جهال الناس يحسدون علماءهم، وجبناؤهم شجعانهم، ولئامهم كرماءهم، وفجارهم أبرارهم، وشرارهم خيارهم ".

وهذا عينه هو ما صنعه الأسد حين جعل الحمار وزيرا لملكه بدلا من الفيل الحكيم [٤٩] على الرغم من اعتراض من حوله ، ولما لم يستمع إلى النصح مر شهر واحد على تلك الوزارة فوجد ملكه ينهار :

لم يَشعُرِ اللّيثُ إلا ... ومُلكُهُ فى دَمار
القردُ عندَ اليمين ... والكلبُ عند اليَسار
والقِطُّ بين يديه ... يَلهو بعظمَةِ فار!
فقالَ : مَن فى جُدودى ... مثلى عديمُ الوقار؟!
أينَ اقتِدارى وبَطشى ... وهَيْبتى واعتبارى ؟!
فجاءَهُ القردُ سرًّا ... وقال بعدَ اعتذار :
يا عالىَ الجاه فينا ... كن عالىَ الأنظار

رأيُ الرعِيَّةِ فيكم من رأيكم في الحمار!

هكذا نقل " شوقي " نبض الوطن وساكنيه ، بل إحساسه الخاص تجاه الوطن وقضاياه ، فصارت هذه الحكايات متنفسا لـ " شوقي " عما تعرض له من كيد الناس ، وعما أصاب مصر من ظلم وفساد من قِبل المستعمرين والحكام على السواء .

– ٥ –

صوغ الحكاية والحكمة

كـان " شـوقى " حريصـا كـل الحـرص فـى حكاياتـه عـلى لسـان الحـيوان عـلى إدخالـنا هـذا العـالم بـل العـيش فـيه جنـبا إلى جنـب مـع سـاكنيه يتعـلم مـنهم الكـبار والصـغار ويفـيدون مـن الحكمـة الـتى تتخلل هذه الحكايـات ؛ وطلـع علينـا بقصـائد وصـفية يـبرز فـيها هـذا العـالم بصـورة وصـفية مـن خارجـه نَمـا كـان سـائدا فـى أغلـب الشـعر العـربى المـوروث ، كمـا يطالعـنا مـن هـذه الحكايـات مـا يـأتى فـى شـكل حكايـة معـتمدة عـلى القـص والحكـى يسـودها حـوار بـين شخصـيات الحكايـة سـواء أكانـت هـذه الشخصيات من الحيوانات أم الطيور أم كانت من بنى الإنسان.

وتجـدر الإشـارة هـنا إلى أن القسـم الحكـائى كـان هـو الأغلـب فـى شـعر " شـوقى " عـلى لسـان الحـيوان وعـلما أن البحـث يحـرص عـلى إحصـاء جمـيع شـعر " شـوقى " فـى الحـيوان سـواء المنشـور منه فـى ديوانه (الشـوقيات) والمنشـور كذلـك فـى (الشـوقيات المجهولـة) الـتى جمعهـا " محمد صبرى السربونى" [٥٠]

إن هـذا الأسـلوب القصصـى الـذى اعـتمده " شـوقى " فـى حكاياتـه يعـد إسـهاما كـبيرا مـنه فـى مجـال فـن القصـة الشـعرية لا يمكـن إنكـاره " بـل ظـل عـلما لم يجـاره أحـد حـتى اليـوم فـى الحكايـة عـلى لسان الحيوان وقـد حقـق داخـلها وحـدة القصـيدة العضـوية ، واسـتخدم الحـوار ، وتبسـيط اللغـة حـتى تناسـب كـثيرا مـن مسـتويات التعـبير " [٥١] والجـدول الآتـى يثبت ذلك :

عدد القصائد فى الشوقيات	٦٣ قصيدة
عدد أبياتها	٩٥٠ بيت
عدد القصائد فى الشوقيات المجهولة	١١ قصيدة
عدد أبياتها	١١٨ بيت

إجمالى عدد القصائد فى الديوانين	٧٤ قصيدة
إجمالى عدد الأبيات فى الديوانين	١٠٦٨ بيت
عدد القصائد الوصفية	١٧ قصيدة
عدد أبياتها	٢٦٩ بيت
عدد القصائد الحكائية	٥٧ قصيدة
عدد أبياتها	٧٩٩ بيت

إذا كان هذا العدد الكبير يمثل مجموع حكايات الحيوان عند " شوقى " فإنه ليس من المستغرب أن يتخللها مجموعة كبيرة من الحيوانات والطيور والكائنات الأخرى يذكرها " شوقى " بأسمائها وصفاتها وحالاتها المختلفة فتمثل المفردات الأساسية التى تدور حولها الحكايات ليصل بعد ذلك إلى مراميه ومقاصده والجدول الآتي يثبت ذلك من الناحية الكمية :

الحيوانات	٢٨٦
الطيور	٨٠
كائنات أخرى	٥٣
إجمالى عددهم	٤١٩

ويلاحظ كذلك أن اختيار " حكايات الحيوان فى شعر شوقى " عنوانا لهذا البحث يقويه شعر " شوقى " نفسه من حيث أساليب الصياغة فيه ؛ فباختيار ألفاظ هذه الحكايات نجد " شوقى " ممسكا بأدواته جيدا ومدركا أنه يصوغ (حكايات) يقدمها للأطفال أولا ؛ لهذا نجد عددا من الألفاظ يشيع فى هذا الجنس من الشعر تشير كلها إلى الحكى والقص والحوار المتبادل بين شخصيات الحكاية .

وشيوع هذه الألفاظ لا يقف عند حد الشعر الحكائى عنده، بل يتعداه إلى القصائد الوصفية حيث تبدو هذه الحكايات فى النهاية كأنها قصة قصيرة أو بمعنى أدق ما يسميه العامة "حدوتة " التى تشيع فيها ألفاظ من قبيل (يحكى - كان - قال - فقال مما يدل على الحوار) والجدول الآتى يثبت هذا الشيوع وهذا القصد من " شوقى " :

قال وحقلها الدلالى	٣١٦
كان وحقلها الدلالى	٦٨
يحكى وما يجاوره فى حقله الدلالى	٦١
المجموع العام لهذه الكلمات	٤٤٥

لم يقف الأمر بـ " شوقى " عند حد الألفاظ لكن طبيعة الصياغة نفسها تثبت هذا ؛ وإذا أراد أن يصور ما حدث بين " الصياد والعصفورة " [٣٢] بدأها بقوله :

حكايةُ الصّيّادِ والعُصفورة ... صارتْ لبعضِ الزاهدين صورة
ما هَزَءُوا فيها بمستَحِقّ ... ولا أرادوا أولياءَ الحقّ

ثم يبدأ فى قص ما جرى من هذه الحكاية (الحدوته) فيما (كان) فيما مضى من زمان يؤيد هذا شيوع الفعل الماضى فى الأبيات وخصوصا الفعل قال الذى ينقل الحوار بين " الصياد والعصفورة " وقد تكرر فى هذه الأبيات التى يبلغ مجموعها ثمانية عشر بيتا خمس عشرة مرة :

ألقَى غُلامٌ شَرَكاً يَصطادُ ... وكلُّ من فوق الثَّرى صَيَّادُ
فانحدرتْ عُصفورةٌ من الشَّجَرْ ... لم يَنْهَها النُّهى ولا الحزمُ زَجَرْ
قالت : سَلامٌ أيُّها الغُلامُ ... قال : على العُصفورةِ السلامُ
قالت : صَبِيُّ مُنْحَنِي القناةِ ؟! ... قال : حَنَتها كثرةُ الصلاةِ
قالت : أراكَ بادِيَ العِظامِ ! ... قال : بَرَتْها كثرةُ الصيامِ

قالت:فما يكونُ هذا الصوفُ ؟   قال : لباسُ الزاهدِ الموصوفُ
سَلِي إذا جَهِلْتِ عارفيهِ   فابنُ عُبيدٍ والفُضَيْلُ فيه
قالت:فما هذِي العَصا الطويلة؟   قال : لِهاتِيكِ العَصا سَليله
أَهُشُّ في المَرْعَى بها وأتكى   ولا أَرُدُّ الناسَ عن تبرُّكِ
قالت : أرى فوق التراب حَبّا   مما اشتَهى الطيرُ وما أَحَبّا
قال : تَشَبهْتُ بأهل الخيرِ   وقلت أقرِى بائساتِ الطَّيْرِ
فإنْ هَدَى الله إليه جائعاً   لم يَكُ قرباني القليلُ ضائعا
قالت : فجُدْ لي يا أخا التَنسُّكِ   قال : القُطِيه . بارَكَ اللهُ لكِ
فصَلِيَتْ في الفخِّ نار القارِي   ومَصْرَعُ العصفورِ في المِنْقار
وهتَفَتْ تقول للأغرارِ   مقالةَ العارفِ بالأسرار :
" إياكَ أن تَغتَرَّ بالزُّهّادِ   كم تَحتَ ثوب الزُّهدِ من صَيادِ!"

و" شوقى " فى هذه الحكاية متأثر بالتراث العربى القديم إذ نقل القصة كما رواها صاحب " العقد الفريد " نظم " شوقى " هذه الحكاية فى قالب تفصيلي مشوق بدأها بمقدمة من عنده مهدت للحكاية، ثم ساق الحكاية بكل تفاصيلها التى ذكرها " ابن عبد ربه"، وأنهاها بخاتمة تضمنت مغزاها وموضع العبر فيها " [٥٣]

يقول " ابن عبد ربه " فى هذه القصة التى رواها فى (العقد الفريد) فى كتاب الجوهرة فى الأمثال تحت عنوان "مثل فى الرياء " عن " وهب بن منبه " قال :

" نصب رجل من بنى إسرائيل فخا فجاءت عصفورة فنزلت عليه ، فقالت : مالى أراك منحنيا ؟ قال : لكثرة صلاتى انحنيت . قالت: فمالى أراك بادية عظامك ؟ قال ك لكثرة صيامى بدت عظامى . قالت : فمالى أرى هذا الصوف عليك ؟ قال : لزهادتى فى الدنيا لبست الصوف . قالت : فما هذه العصا عندك ؟ قال : أتوكأ عليها وأقضى حوائجى . قالت : فما هذه الحبة فى يدك ؟ قال : قربان إن

مر بى مسكين ناولته إياها . قال : فخذيها فدنت ، فقبضت على الحبة ، فإذا الفخ فى عنقها ، فجعلت تقول : قعى قعى ، تفسيره لا غرنى ناسك مراء بعدك أبدا " .

ونستطيع أن نتبين هذه الطريقة الحكائية فى حكاية "النعجة وأولادها " [٥٤] حيث لا يكتفى " شوقى " بالبداية الحكائية وإنما يوحى إلينا أنه يحكى لأطفالنا (الحواديت) ويذكرنا بالشاعر الشعبى الذى يقص هذه الأقاصيص بل يغنيها على آلته الموسيقية :

اسمَعْ نفائس ما يأتيكَ مِنْ حِكَمى ... وافهمْهُ فَهمَ لبيبٍ ناقِدٍ واعِى
كانت على زَعمهِمْ فيما مَضى غَنَمٌ ... بأرضِ بغدادَ يَرعَى جَمْعَها راعى
قد نام عنها فنامَتْ غيْرَ واحدةٍ ... لم يَدْعُها فى الدَّياجِى للكَرَى داعى
أمُّ الفَطيمِ وسعْدٍ والفَتى عَلَفٍ ... وابنِ أمّهِ ، وأخيه مُنْيةِ الرّاعى
فبينَما هى تحتَ الليْل ساهرةٌ ... تُحْييهِ ما بين أوجالٍ وأوجاعِ
بَدَا لها الذّئب يَسعَى فى الظلام على ... بُعْدٍ،فصاحت:ألا قوموا إلى الساعى!

و" شوقى " - كما يبدو - حريص على استخلاص موعظة وإيراد الحكمة فى حكايته ، والأصل أن تأتى هذه الحكمة فى نهاية الأبيات كما كانت عند من سبقه فى هذا الفن ولكن " شوقى " لا يلتزم بهذا ؛ فنجده يورد هذه الحكمة المستفادة من الحكاية فى أول الأبيات وأحيانا فى منتصفها لكنه ألزم نفسه بإيراد الحكمة فى كل حكاية بأن الحكمة (روح الخرافة) كما قال " لافونتين " الذى كان يأتى بالحكمة فى بداية الخرافة ، ومما جاءت فيه الحكمة فى بداية الحكاية حكايته عن " الأسد والضفدع "[٥٥] ؛ فقبل أن يسرد الحكاية التى تقضى بأن الفيل تشفع للضفدع عند الأسد جاء بالحكمة أولا :

إنفعْ بما أعطِيتَ من قدرَةٍ ... واشفع لدى الذنبِ لَدَى المجمعِ
إذ كيفَ تسمو لِلعُلا يا فتَى ... إن أنتَ لم تنفع ولم تَشفِع ؟
عندى لهذا نبأ صادقٌ ... يُعجِبُ أهلَ الفضل فاسمع وعِ

قالوا استوى الليثُ على عرشِهِ ... فجِيءَ في المجلِسِ بالضِّفدَعِ
وقيل للسُّلطانِ هذِي التي ... بالأمسِ آذتْ عاليَ المِسْمَعِ
تُنَقْنِقُ الدَّهرَ بلا عِلَّةٍ ... وتَدَّعي في الماءِ ما تَدَّعِي
فانظر - إليك الأمرُ - في ذنبِها ... ومُرْ نُعلِّقْها من الأربَعِ
فنهضَ الفِيلُ وزيرُ العُلا ... وقال : يا ذا الشَّرَفِ الأرفعِ
لا خيْرَ في الملكِ وفي عِزِّهِ ... إن ضاقَ جاهُ الليثِ بالضِّفدَعِ
فكتبَ الليثُ أماناً لها ... وزاد أنْ جاد بمُستنْقَعِ !

إذا كان " شوقى " قد عرف فى شعره بالفصاحة والجزالة وحسن البلاغة والإيجاز فإن هذا ليس بعيدا عن حكمه التى وردت فى حكاياته على لسان الحيوان ؛ فحكمه - فى معظمها - تأتى جزلة مختصرة موجزة توجز المعنى الكثير فى أقل الألفاظ بوضوح وسهولة من هذا الحكمة فى نهاية حكاية "اليمامة والصياد " (٥٦).

" تقول قولَ عارف مُحقِّق ... مَلَكْتُ نفسِي لو مَلَكْتُ مَنْطِقى!"

ومثلها الحكمة فى نهاية حكاية " الكلب والحمامة " (٥٧).

هذا هو المعروفُ يا أهلَ الفِطَن ... الناسُ بالناس، ومَنْ يُعِن يُعَنْ !

وكقوله فى نهاية حكاية " النملة والمقطم " (٥٨) :

صاح لا تخشَ عظيمًا ... فـ الذى فى الغيْب أعظم

وعلى الرغم من هذا الإيجاز الذى جرت صياغة " شوقى " على نهجه وقد تأتى الحكمة عنده فى مواضع قليلة ممتدة على أكثر من جملة وأكثر من بيت من هذا الحكمة التى ختم بها حكاية " الخفاش ومليكة الفراش " (٥٩) التى امتدت خمسة أبيات :

رُبَّ صديقٍ عبدِ ... أبيَضُ وجهِ الوُدِّ
يَفديك كالرَّئيسِ ... بالنَّفْسِ والنفيسِ
وصاحِبٍ كالنُّورِ ... في الحُسْنِ والظُّهورِ
معْتكرِ الفؤادِ ... مُضَيَّع الودادِ
حِبالُه أشراكُ ... وقُرْبُه هلاكُ ؟

- ٦ -

السخريـــة

ومن أهم ما تتسم به هذه الحكايات عند " شوقى " شيوع روح الفكاهة والسخرية ، وهى ليست غريبة على شعر " شوقى " لأنها نابعة عن نفسه بصدق ، إذ كان مجبولا على الفكاهة وخفة الظل والنظرة الساخرة للأشياء ، ولم يكن " شوقى " يطرب لما يطرب له العامة ، لكن إحساساته كانت أرق من الخاصة " ولعل هذا هو السبب فى تلك الضحكات المكتومة التى كان أمير الشعراء يرسلها عفوا ن والذين معه مشدوهون لا يفطنون إلى الباعث عليها إلا بعد إجهاد ، وقد لا يهتدون إلى هذا الباعث " (٦٠)

والأصل فى الفكاهة والسخرية ألا تكون مسفة ، وليس أروع من الدعابة المنطوية على تصوير واضح لجوانب من أخلاق الناس ومواقفهم التى تدعو إلى الضحك " والأصل فى النكتة البارعة أن يطرب لها من قيلت فيه ولا يجد فيها غضاضة ، على هذا الاعتبار يكون أمير الشعراء فى مقدمة ظرفائنا وفى طليعة شعرائنا الفكاهيين ، وكانت الفكاهة - قبله - مقصورة على الأزجال والزجالين " (٦١)

وقد كان " شوقى " بطبعه عفيف اللسان ؛ ويبدو هذا بوضوح فى شعره كله إذ لم يكن شاعرا هجاء وإن أكثر من المدح " فعفة لسان " شوقى " وتنكبه طريق طالما سلكها شعراء كبار وصغار ومتوسطون ، هذا دليل على ذكاء طبعه وفرط حيائه وأيضا - على رجاحة عقله - وأصالة رأيه ، فكم أحدث الشعر من فتنة وأراق من دم وأحرج من جماعة وحرم العالم من نعمة ، وأية نعمة كانت أعظم من شعر المتنبى الذى كانت حياته كلها أقوالا عبقرية آخذا بعضها برقاب بعض ، ولكنه برغم جميع حكمه الاجتماعية وآرائه الفلسفية لم يتنبه إلى ما فى الهجو

من الاستهداف للمقت والتعرض للتهلكة ، فقال من الأقوال الصغار ما يخالف تلك الحكم التى تفرد بها وأسف فى الهجو إسفافا يحار العقل لصدوره من مثله " (٦٢)

فالثابت لدى الدارسين أن هناك بونا شاسعا بين السخرية والفكاهة من جهة والهجاء من جهة أخرى ؛ فالهجاء ينبعث من نفس حاقدة واجدة غاضبة ، أما السخرية فهى صادرة عن نفس متهكمة ناقدة منبسطة (٦٣)

والفكاهة موجودة فى جميع آداب العالم ، لكنها تختلف من مكان لآخر باختلاف طبائع الشعوب الاجتماعية ، وإذا احتوت الفكاهة حكمة صادقة وأحكمت عبارتها " كانت فى الفرد دليل صفاء الذهن ولطافة الحس ، وفى الأدب مظهر الرقى والحيوية وفى الأمة عنوان التحضر ورقة الطبع ، والفكاهة عند ذلك لا تقل مكانة عن أرزن الجد بل ربما بزته ، وكانت مرآة لميول الفرد والمجتمع أصدق تصويرا من مرآة الجد الخالص " (٦٤)

لما كان " شوقى " مجبولا على حب الفكاهة ومالكا نظرة ساخرة وجدناه يطلع علينا بحكايات تعرى من كل شىء إلا من الضحك ؛ فغرضه الوحيد الذى نظمها من أجله كان الفكاهة والضحك، كما فى حكاية " ولى عهد الأسد وخطبة الحمار " (٦٥) حيث رزق الأسد بأول شبل له ، فاجتمعت الحيوانات والطيور جميعا تهنئ الملك بولى العهد :

فنهضَ الفيلُ المشيرُ السامى	وقال ما يليقُ بالمقام
ثم تلاه الثَّعْلَبُ السفيرُ	يُنشِدُ ، حتى قيلَ : ذا جريرُ
واندفعَ القردُ مديرُ الكاسِ	فقيلَ : أحسنتَ أبا نُواس!
وأوْمأَ الحِمارُ بالعقيرَه	يريدُ أن يُشرِّفَ العشيره

فقـال : باسـمِ خـالِقِ الشـعيـرِ — وباعـثِ العصـا إلى الحمـيـر !..
فـأزعجَ الصّـوتُ وَلـيَّ العَهـدِ — فمـاتَ مـن رِعْدَتِـه فـى المَهـدِ
فحمّـلَ القـومُ علـى الحِمـارِ — بجُملـةِ الأنـيـابِ والأظفـار
وانـتُدبَ الثّعلـبُ لِلتأبـيـنِ — فقـال فـى الـتعريضِ بالسـكين :
لا جعَـلَ اللهُ لـه قـرارًا — عـاشَ حِمـارًا ومضـى حمـارا !

ويعـد شـعر الفكاهـة عـند " شـوقى " ابـتكارا شـوقيا ، مـنها مجموعـة القصـائد الـتى سميـت " محجوبـيات " ولم يفطـن كـثير مـن الدارسين إليها ولا إلى غيرها مـن فكاهـات " شـوقى " الـتى تـأتى فى ثنايا حكاياتـه عـلى لسـان الحـيوان أو وصـفا لـه " رغـبة مـنه فـى إيجـاد أدب للأطفـال المصـريين ، مثـلما جعـل الشـعراء للأطفـال فـى الـبلاد المتمديـنة منظومات قريـبة التـناول ، يـأخذون الحكمـة والأدب مـن خلالهـا عـلى قدر عقولهم كما صرح بذلك فى تقديمه للشوقيات " [٦٦] .

وقـد عـد " العقـاد" هـذه الأشـعار الفكاهـية السـاخرة " الـباب الوحـيد الـذى ظهـر فـيه " شـوقى " فـى ملامحـه الشخصـية ، لأنـه أرسـل نفسـه فـيه عـلى سـجيته ، وانطلـق مـن حكـم المظهـر والصـنعة والقوالـب العرفية التى تنطوى فيها ملامح الشخصية وراء المراسم والتقاليد " [٦٧]

نظـم " شـوقى " مجموعـة مـن القصـائد سميـت "محجوبـيات " نشـر بعضـها فـى ديوانـه (الشـوقيات) ، وجمـع بعضـها الآخـر " محمـد صـبرى السـربونى " فـى (الشـوقيات المجهولـة) وهـى مجموعـة مـن القصـائد السـاخرة المـتهكمة فـى الدكـتور محجـوب ثابـت وحصـانه الـذى كـان يسـمى " مكسـوينى " ودكـتور " محجـوب ثابـت ودود للشـاعر ، بيـنهما مداعـبات ومسـامرات وفكاهـة ، وكـان للدكـتور حصـان يـرتاد بـه شـوارع القاهـرة أيـام الـثورة ، وكـان أصـدقاؤه يسمون الحصـان " مكسـوينى"

على اسم بطل أيرلندى مشهور انتحر جوعا ، ويكنون بذلك عن هزال الحصان وجوعه وعدم العناية به."[68]

نظم " شوقى " أبياتا سنة ١٩٢٤م يداعب فيها الدكتور محجوب ويعزى حصانه يقول :

أدُنيا الخيلِ (يا مكيسى) كدُنيا الناسِ غدّاره؟!
لقد بَدّلك الدهرُ من الإقبالِ إدباره
فصبراً يا فتى الخيلِ فنفسُ الحرِّ صَبّاره
أحَقٌّ أنّ (مَحجوباً) سَلا عنك بفخّاره؟
وباعَ الأبلَقَ الحُرَّ (بأوفرلاند) نَعّاره؟
ولم يَعرِفْ له الفضلَ ولا قدّرَ آثاره

ولما علم " شوقى " وهو بفرنسا بخبر موت "مكسوينى" بعث بمرثية للدكتور محجوب ، وقد نشرها بالكشكول فى أول أغسطس ١٩٢٤م ، يقول فى بعضها :

يا مكس دنياك عاره والموت كأس مداره
والدهر يوما ويوما والحال طورا وتاره
والعيش زهر ربيع قصير عمر النضاره
إذا بلغن التراقى فكل ربح خساره
يا " مكس " قل لى أحقا قد وسدوك الحجاره
وغيبوك طويلا أشم مثل المناره

لم يكن الدكتور محجوب يعنى بمظهره العام ، كما لم يكن يعنى بنظافة العيادة الخاصة به بوصفه طبيبا ، فتهكم عليه " شوقى " وأشاع أن البراغيث تحيط به فى كل مكان :

بَراغيثُ مَحجوبٍ لم أنسَها ولم أنسَ ما طَعِمَتْ من دمى
تشقُّ خَراطيمُها جَوْرَبى وتنفُذُ فى اللحمِ والأعظُمِ!
وكنتُ إذا الصّيفُ راح احتجَمْـ ـتُ فجاءَ الخريفُ فلم أحجمِ
تُرَحِّبُ بالضّيفِ فوقَ الطريـ ـقِ ، فبابِ العيادةِ فالسُّلَّمِ

قــــد انتشـرَت جـوْقَـةٌ جـوْقَـةٌ ... كمــا رُشّــتِ الأرضُ بالسِّمسِــــم!
وتَـرقصُ رَقـصَ المَواسـى الحِـدادِ ... عـلى الجِلـدِ ، والعَلَـقِ الأسـحـم

***

بواكـيـرُ تَطلــعُ قـبل الشّـتــاءِ ... وتَــرفعُ ألــوِيــةَ الموْسِـــــمِ
إذا مـا " ابـنُ سـينا " رَمـى بلغمـاً ... رأيــتَ الـبراغيثَ فــى الـبَلغـم
وتُبصِـرُها حــول " بيـبا " الرئـيس ... وفــى شــاربيْهِ وحــول الفَــم![69]
وبــيْنَ حفــائِــرِ أسـنــانِــه ... مـع السُّـوسِ فـى طلـبِ المَطْعَـم!

هكـذا كـان " شـوقى " يسـخر مـن " محجـوب ثابـت " وحصـانه الهـزيل ، وقـد سـاعد عـلى هـذا المسـخور منـه ذاتـه ؛ حيـث كـان يـرى نفسـه يسـتحق أعـلى المناصـب وأسمـى الدرجـات، وهـو فـى الحقـيقة لم يكـن كـفء لهـذا ، وقـد كانـت تصـرفاته مـن هـذا المـنطلق ممـا يـثير السخر والضـحك " لأن المـرء ـ كمـا يقـول العقـاد ـ إنمـا يضـحك مـن كـل شـىء يوضـع فـى غـير موضـعه ويظهـر بغـير المظهـر الواجـب لـه وفـى غير الصورة اللائقـة بـه ، يضـحك مـن الشـيخ المتصـابى ، ومـن الغـبى المتـباهى ، ومـن الـريفى الجلـف الـذى يـتخايل فـى زى أهـل الحضـر ، والوضـيع المهـين الـذى يولـع بسـمت الأعـزاء مـن أصـحاب الشـأن والخطـر ، يضـحك ممـن يصـول صـولة الشـجاع المقتحم حـتى إذا لاحـت لـه بارقـة مـن الوهـم هـرب هروب الجبان المذعور ... " [70]

والعقـاد يشـير إلى أن السـخرية الـتى تـثير الضـحك لا تهـدف فقـط إلى مجـرد الضـحك ، بـل المقصـود مـن وراء ذلـك تنبـيه هـذه الطـبائع إلى الـنفس تنبـيه عطـف ورعايـة " وأن نـنظر مـنها الجـد فـى معالجـتها بما يقع فـى الطاقـة ويـرجى مـنه التحسـن فـى ناحـية أخـرى مـن الـنفس ، وإن لم يكـن ميسـورا فـى الناحـية المضـحوك مـنها فقـلما طلـب الكمـال إنسـان ورجع منه بغير نتيجة مرضية فى الباب الذى طلبه أو فى باب سواه " [71] .

وهناك ضرب من الفكاهة والسخرية يوجد عند "شوقي" ، وقد نشأ - في الأساس - فنا لا يعتمد على كلمات ولا على حروف " وإنما يعتمد على الألوان والخطوط والظلال والأضواء ، وقد شاع في القرنين الأخيرين بأوروبا ، ونقلناه عنها ، وكان لنا منه حظ في عصورنا القديمة ، ونقصد التصوير الساخر الكاريكاتوري الذى يقف عند جوانب الضعف في جسد شخص أو في وجهه ، ويكبرها كأنما يريد أن ينمي الضعف أو العيب الذى يكمن فيه إلى أقصاه " (٧٢)

وعلى الرغم من أن العرب القدماء لم يعرفوا هذه التسمية فإننا نجدهم يجعلون أدوات هذا الفن الكلمات بدلا من الصورة حتى يكونوا بهذه الكلمات صورة كاريكاتورية ، وكان أبرع كتاب العرب في ذلك " الجاحظ " (٧٣)

والكاريكاتور يختلف اختلافا كبيرا عن فن الهجاء ؛ ففي كل كاريكاتور نوع من الهجاء وليس في كل هجاء نوع من الكاريكاتور ، ففي الهجاء ينال من المهجو بالحق وبالباطل دون تعمد الضحك والإضحاك " أما في الكاريكاتور فإن غرضك الأول هو أن تبحث عن الغلطة المحسوسة في تكوينه الجسماني أو تنقب عن السقطة الموجودة في تكوينه النفسي أو تفتش عن الخلة المقوتة في طبعه الخلقي " (٧٤)

وعلى هذا فإن هذا الفن الكاريكاتوري الساخر يعتمد - في الأساس - على التصوير والتجسيم والمقارنة (٧٥) وهذا عينه هو ما صنعه شوقي في بعض حكاياته ؛ من هذا حكاية "ولى عهد الأسد وخطبة الحمار " (٧٦) و" القرد والفيل " و" دولة السوء " التي لم تنشر في الشوقيات ، وهو في هذه الحكاية يجسم لنا قصة صاحب كلب وقرد حمار فجعلها وسيلة للارتزاق ، وإذا بهؤلاء الثلاثة يأتونه في منامه قائلة :

ها قد تجلت ليلة القدر لنا ... وقبل مولانا سألنا سؤلنا
فقام يستعد للضراعه ... وقال ماذا طلب الجماعه
قال له القرد طلبت المملكه ... تكون لى وحدى بغير شركه
قال الحمار وأنا الوزير ... والصدر فى الدولة والمشير
والكلب قال قد سالت البارية ... يجعلنى فى ملك هذا قاضيا
فراع رب الجوق ما قد سمع ... ثم جثا لربه وضرعا
وقال يا صاحب هذه الليله ... سألتك الموت ولا ذى الدوله

يشير الشاعر هنا بلمحة ذكية إلى ما يجرى فى مصر آنذاك ؛ فمحتل يأتى وقت شاء وملك يحكم كيف شاء ، لذا أعطاها " شوقى " هذا البعد الاجتماعى ، فالحيوانات تسبق سيدها إلى اختيار ما تريد ولم تترك له شيئا يختار ، وفى هذا التصوير نقد اجتماعى لاذع وانحياز واضح لمساندة الشعب ضد الفردية الطاغية [٧٧]

ومن هذه الحكايات التى يبرز فيها التصوير الكاريكاتورى "كلاب الأستانة " [٧٨] والشاعر يصور فيها هذا التناقض العجيب الذى يبرز الناس خائفين من الحكام فى حين تطمئن الكلاب الضالة فى الشوارع :

قالوا فروق الملك دار مخاوف ... لا ينقضى لنزيلها وسواس
وكلابهم فى مأمن فاعجب لها ... أمن الكلاب بها وخاف الناس

ثم يشير إلى كثرة عدد الكلاب الضالة فى شوارع الأستانة :

رأيت كلابا بدار السعادة ... عداد الأهالى بها أو زيادة
ولكن بينهما فارقا ... ففيهم حماس وفيهم بلاده
مقسمة فرقا فى الطريق ... كما يقسم الجيش جندا وقاده
ومنها السمين بحجم الخروف ... ومنها الضئيل بحجم الجراده
ويحلو لها النوم فوق الشريط ... وتحلو لها فى الطريق الولاده
وقد يفسد الجو من نتنها ... وعندهم حفظها كالعبادة

– ٧ –
أدوات التشكيل

كان فن الكتابة على لسان الحيوان فنا قديما ـ كما سلف ـ سواء فى الأدب العربى أو فى الآداب العالمية الأخرى ، وقد عنى الكتاب الذين اطلعوا لهذا الفن وعالجوا حكاياتهم على لسان الحيوان بكثير من الأسس الفنية التى اتُّفق عليها فى جميع آداب العالم ؛ فقد عنوا بالبناء الفنى للقصة ؛ فعنوا بشكلها وحجمها وفكرتها وموضوعها، وكانوا يختارون ذلك بعناية فائقة لأنها ـ فى الأساس ـ موجهة للأطفال، وعنوا ـ كذلك ـ بتقنية السرد ورسموا شخصيات هذه الحكايات جسميا ونفسيا وعقليا وخياليا :

" بحيث يتسلل إلى نفوس الأطفال ـ عبر الحوارات والأحداث ـ التعاطف والاندماج ـ أيضا ـ فى الإيجاز والدقة عند تصوير البيئة الزمانية والمكانية وفى الإمساك بخيوط الحبكة ونسج عقدة واحدة متنامية مع باقى العناصر ، بحيث تنتهى فى ذروتها إلى خاتمة متماسكة مقنعة ، كما لوحظ من استقراء تلك الروائع القصصية : شيوع عنصر الترابط بين وحدات البناء الفنى القصصى ، خاصة منطقية الحدث وتوظيف الخيال كى تزخر القصة بفن الحياة ، أو صورة الحياة، وقد حملت بمنظومة " القيم " التى يسعى الإنسان بهدف ترسيخها ، وعلى وجه الخصوص ترسيخها فى عقل وإدراك ووجدان الطفل " (٧٩)

يشارك " شوقى " أقرانه من الشعراء والكتاب فى كثير من الخصائص الفنية التى كتبوا بها حكاياتهم على لسان الحيوان ، ولا ينفى هذا تفرده فى بعض السمات الفنية الأخرى.

فأول ما يقابلنا من سمات الصياغة عند " شوقى " لغته السهلة التى لا تمثل نوعا من المشقة على الأطفال ، مع ملاحظة حرصه الشديد على التزام الفصحى بعيدا عن استخدام العامية ، وإن كنا لا نعدم بعض التجوزات اللغوية التى وردت فى هذه الحكايات [٨٠] وقد كان " شوقى " يعلم أن اللغة التى يستعملها من يكتب للأطفال هى اللغة السهلة البسيطة المناسبة لبساطة الأفكار التى يرغب فى أن يوصلها فى أن يوصلها إلى جمهوره من الصغار [٨١] .

" ولعل ذلك كان من بين الأهداف التى أرادها "شوقى" لتثقيف الأطفال عن طريق الخرافة ، وهو تقويم لألسنتهم وتعويدهم على النطق بفصيح الكلمات بدون مشقة أو جهد"[٨٢] .

يضع " شوقى " فارقا كبيرا بهذه اللغة السهلة البسيطة التى استخدمها فى حكاياته بين السمات الفنية التى تسودها وسائر شعره ، وليس من شك فى أن هذا الأسلوب السهل واللغة الميسرة تناسب الأطفال الذين وجه إليهم هذه المجموعة من الحكم والأمثال والعظات ، واللافت للنظر هنا أن هذه الحكايات بلغتها السهلة حملت فلسفة سياسية واجتماعية عميقة ، وهذا كله يأتى على لسان الحيوان ، وقد ساعدت هذه اللغة أن تُدخل هذه الحكايات الراحة والمتعة فى النفس[٨٣] .

وكان " شوقى " حريصا كل الحرص على أن يؤدى شعره وظيفته المنتظرة تجاه الطفل العربى ، ومن الثابت أن الشعر الذى يقرؤه الأطفال يشارك فى تنشئتهم وتربيتهم تربية متكاملة :

" فهو يزودهم بالحقائق والمفاهيم والمعلومات فى مختلف المجالات ، وهو يمدهم بالألفاظ والتراكيب التى تنمى ثروتهم اللغوية ،

وتساعدهم على استخدام اللغة استخداما سليما، كما أن الشعر الذى يقدم للأطفال ينمى الجوانب الوجدانية والمشاعر والأحاسيس لديهم، فهو يغرس القيم التربوية فى نفوسهم، وينمى الميول الأدبية والقرائية لديهم، ويشبع حاجاتهم النفسية المتعددة، وينمى مهارات التذوق الأدبى، والأداء اللغوى السليم، وتمثيل المعانى وإخراج الحروف من مخارجها، والطلاقة اللفظية، والاستماع الجيد إلى كل ما هو جميل فى مضمونه لغرس التذوق الأدبى لدى الطفل فى هذه المرحلة، وسبيل إلى تحبيب الأدب إليه فى مراحل التعليم التالية " (٨٤)

ومن أبرز سمات " شوقى " الفنية فى هذه الحكايات وغيرها من سائر شعره هى الموسيقى؛ فهى تعد من أهم العناصر الفنية التى يمتاز بها " شوقى " لما بها من عذوبة ورقة وتنوع فى البحور والقوافى (٨٥) ومن المعروف أنه كان يلتزم البناء التقليدى لموسيقى الشعر العربى الموروث، وظاهرة النظام عنصر أساسى فى الأعمال الفنية على اختلاف أنواعها، ولكل فن من الفنون قواعده الخاصة التى توفر للعمل الفنى هذا العنصر، مما يوفر الشكلية الضابطة للأوزان والقوافى، وهذه القواعد هى الملتزمة فى الشعر التقليدى معظمه (٨٦)

ولما كانت الحكايات على لسان الحيوان ضربا من التجديد عند " شوقى " تبع ذلك ضرب من التجديد - أيضا - فى موسيقى الشعر، أو بعبارة أدق نجم عن ذلك ضرب من التنويع فى موسيقى الشعر عنده.

فنجد فى الحكايات - عند " شوقى " - ما جاء موحد القافية وما جاء مزدوجا، كما نجده استخدم البحور التامة والمجزوءة، وقد أكثر من استخدام الرجز والقوافى المزدوجة، وقد ذهب س. موريه إلى

أن " شـوقى " كتـب سـبع عشـرة قصـيدة بقافـية موحـدة وبقـية الحكايـات جاءت فى شكل الأرجوزة المزدوجة (٨٧)

لا يمكـن التسـليم بهـذا الـرأى ، والجـدول الآتـى يوضـح مـدى التنوع والغزارة فى استخدام البحور والقوافى عند "شوقى " :

م	اسم البحر	وروده تاما	وروده مجزوءا	المجموع
١	الرجز	٣٤	٧	٤١
٢	الرمل	٢	٥	٧
٣	الكامل	٣	٣	٦
٤	المجتث	٦	-	٦
٥	البسيط	٣	-	٣
٦	السريع	٣	-	٣
٧	الطويل	٢	-	٢
٨	الهزج	٢	-	٢
٩	المتقارب	٢	-	٢
١٠	الخفيف	١	-	١
١١	الوافر	١	-	١

كمـا يلاحـظ أن القوافـى المـزدوجة قـد وردت ٤٣ مـرة ، والقوافـى الموحدة وردت ٣١ مرة .

وعـلى كـل مـا تقـدم : تـبدو أهمـية " حكايـات الحـيوان فـى شـعر شـوقى " ، وتـبرز مكانـة هـذه الحكايـات السـامقة بـين نـتاج "شـوقى " الشـعرى بصـفة خاصـة والشـعر العـربى بعامـة ؛ لأنهـا تمـثل جـزءا لا يتجزأ

من نتاجه الشعرى فيكمل بها فنه ، كما أنها تبرز تأثره بالتراث العربى وبالوافد الغربى الفرنسى من خلال خرافات " لافونتين " .

وقد برع " شوقى " فى تصوير عدد كبير من الموضوعات التى تتعلق بالإنسان الفرد ، إضافة إلى انشغاله بكل ما يهم الوطن من قضايا ومشكلات ، وخرج من ذلك كله بحكم ومواعظ نتيجة التجربة ، ولف هذا بروح السخرية والتهكم صابًّا إياه فى قالب لغوى سهل وموسيقى متنوعة .

- ٨ -
من ديوان الأطفال لشوقى

الهرة والنظافة

هِرّتي جِدُّ أليفَه ... وَهيَ لِلبَيتِ حَليفَه
هِيَ ما لَم تَتَحَرّك ... دُمْيَةُ البَيتِ الظَريفَه
فَإِذا جاءَت وَراحَت ... زيدَ في البَيتِ وَصيفه
شُغلُها الفارُ تُنَقّي الـ ... ـرَفّ مِنهُ وَالسَقيفَه
وَتَقومُ الظُهرَ وَالعَصـ ... ـرَ بِأَوراد شَريفَه
وَمِنَ الأَثوابِ لَم تُمـ ... ـلِك سِوى فَروٍ قَطيفَه
كُلّما اِستَوسَخَ أَو آ ... وى البَراغيثَ المُطيفه
غَسَلَتهُ وَكَوَتهُ ... بِأَساليبَ لَطيفَه
وَحَدَت ما هُوَ كَالحَمّا ... مِ وَالماءِ وَظيفَه
صَيَّرَت ريقَتَها الصا ... بونَ وَالشارِبَ ليفَه
لا تَمُرَّنَّ عَلى العَينِ ... وَلا بِالأَنفِ جيفَه
وَتَعَوَّد أَن تُلاقي ... حَسَنَ الثَوبِ نَظيفَه
إِنَّما الثَوبُ عَلى الإِنـ ... ـسانِ عُنوانُ الصَحيفَه

الجدة

لي جَدَّةٌ تَرأَفُ بي ... أحنى عَلَيَّ مِن أَبي
وَكُلُّ شَيءٍ سَرَّني ... تَذهَبُ فيهِ مَذهَبي
إِن غَضِبَ الأَهلُ عَلَـ ... ـيَّ كُلُّهُم لَم تَغضَبِ
مَشى أَبي يَوماً إِلَـ ... ـيَّ مِشيَةَ المُؤَدِّبِ
غَضبانَ قَد هَدَّدَ بِالضَر ... بِ وَإِن لَم يَضرِبِ
فَلَم أَجِد لِيَ مِنهُ غَيـ ... ـرَ جَدَّتي مِن مَهرَبِ
فَجَعَلَتني خَلفَها ... أَنجو بِها وَأَختَبي
وَهيَ تَقولُ لِأَبي ... بِلَهجَةِ المُؤَنِّبِ
وَيحٌ لَهُ وَيحٌ لِهَـ ... ـذا الوَلَدِ المُعَذَّبِ
أَلَم تَكُن تَصنَعُ ما ... يَصنَعُ إِذ أَنتَ صَبي

الوطن

عُصفورَتانِ في الحِجا … زِ حَلَّتا عَلى فَنَن
في خامِلٍ مِنَ الرِيا … ضِ لا نَدٍ وَلا حَسَن
بَيناهُما تَنتَجِيا … نِ سَحَراً عَلى الغُصُن
مَرَّ عَلى أَيكِهِما … ريحٌ سَرى مِنَ اليَمَن
حَيّا وَقالَ دُرَّتا … نِ في وِعاءٍ مُمتَهَن
لَقَد رَأَيتُ حَولَ صَن … عاءَ وَفي ظِلِّ عَدَن
خَمائِلاً كَأَنَّها … بَقِيَّةٌ مِن ذي يَزَن
الحَبُّ فيها سُكَّرٌ … وَالماءُ شُهدٌ وَلَبَن
لَم يَرَها الطَيرُ وَلَم … يَسمَع بِها إِلّا افتَتَن
هَيّا اركَباني نَأتِها … في ساعَةٍ مِنَ الزَمَن
قالَت لَهُ إِحداهُما … وَالطَيرُ مِنهُنَّ الفَطِن
يا ريحُ أَنتَ اِبنُ السَبي … لِ ما عَرَفتَ ما السَكَن
هَب جَنَّةَ الخُلدِ اليَمَن … لا شَيءَ يَعدِلُ الوَطَن

الرفق بالحيوان

الحَيَوانُ خَلقُ … لَهُ عَلَيكَ حَقُّ
سَخَّرَهُ اللَهُ لَكا … وَلِلعِبادِ قَبلَكا
حَمولَةُ الأَثقالِ … وَمُرضِعُ الأَطفالِ
وَمُطعِمُ الجَماعَه … وَخادِمُ الزِراعَه
مِن حَقِّهِ أَن يُرفَقا … بِهِ وَأَلّا يُرهَقا
إِن كَلَّ دَعهُ يَستَرِح … وَداوِهِ إِذا جُرِح
وَلا يَجُع في دارِكا … أَو يَظمَ في جِوارِكا
بَهيمَةٌ مِسكينُ … يَشكو فَلا يُبينُ
لِسانُهُ مَقطوعُ … وَما لَهُ دُموعُ

ولد الغراب

وَمُمَهَّدٌ في الوَكرِ مِن ... وَلَدِ الغُرابِ مُزَقَّق
كَرُوَيهِبٍ مُتَقَلِّسٍ ... مُتَأَزِّرٍ مُتَمَنطِق
لَبِسَ الرَمادَ عَلى سَوا ... دِ جَناحِهِ وَالمَفرِق
كَالفَحمِ غادَرَ في الرَما ... دِ بَقِيَّةً لَم تُحرَق
تُلثاهُ مِنقارٌ وَرَأ ... سٌ وَالأَظافِرُ ما بَقي
ضَخمُ الدِماغِ عَلى الخُلُو ... وِ مِنَ الحِجى وَالمَنطِق
مِن أُمِّهِ لَقِيَ الصَغي ... رُ مِنَ البَلِيَّةِ ما لَقي
جَلَبَت عَلَيهِ ما تَذو ... دُ الأُمَّهاتُ وَتَتَّقي
فُتِنَت بِهِ فَتَوَهَّمَت ... فيهِ قُوىً لَم تُخلَق
قالَت كَبِرتَ فَثِب كَما ... وَثَبَ الكِبارُ وَحَلِّق
وَرَمَت بِهِ في الجَوِّ لَم ... تَحرِص وَلَم تَستَوثِق
فَهَوى فَمُزِّقَ في فِنا ... ءِ الدارِ شَرَّ مُمَزَّق
وَسَمِعتُ قاقاتٍ تُرَد ... دَدُ في الفَضاءِ وَتَرتَقي
وَرَأَيتُ غِرباناً تُفَر ... رِقُ في السَماءِ وَتَلتَقي
وَعَرَفتُ رَنَّةَ أُمِّهِ ... في الصارِخاتِ النُعَّق
فَأَشَرتُ فَالتَفَتَت فَقُل ... تُ لَها مَقالَةَ مُشفِق
أَطلَقتِهِ وَلَوِ امتَحَن ... تِ جَناحَهُ لَم تُطلِقي
وَكَما تَرَفَّقَ والِدا ... كِ عَلَيكِ لَم تَتَرَفَّقي

المدرسة

أَنا المَدرَسَةُ اِجعَلني ... كَأُمٍّ لا تَمِل عَنّي
وَلا تَفزَع كَمَأخوذٍ ... مِنَ البَيتِ إِلى السِجنِ
كَأَنّي وَجهُ صَيّادٍ ... وَأَنتَ الطَيرُ في الغُصنِ
وَلا بُدَّ لَكَ اليَومَ ... وَإِلّا فَغَداً مِنّي
أَوِ استَغنِ عَنِ العَقلِ ... إِذَن عَنّيَ تَستَغني

أنا المِصباحُ لِلفِكرِ ... أنا المِفتاحُ لِلذِهنِ
أنا البابُ إِلى المَجدِ ... تَعالَ اِدخُل عَلى اليُمنِ
غَداً تَرتَعُ في حَوشي ... وَلا تَشبَعُ مِن صَحني
وَأَلقاكَ بِإِخوانٍ ... يُدانونَكَ في السِنِّ
تُناديهم بِيافِكري ... وَيا شَوقي وَيا حُسني
وَآباءٍ أَحَبّوكَ ... وَما أَنتَ لَهُم بِابنِ

في ابنته أمينة

أَمينَتي في عامِها ... الأَوَّلِ مِثلُ المَلَكِ
صالِحَةٌ لِلحُبِّ مِن ... كُلٍّ وَلِلتَّبَرُّكِ
كَم خَفَقَ القَلبُ لَها ... عِندَ البُكا وَالضَحِكِ
وَكَم رَعَتها العَينُ في ... السُكونِ وَالتَحَرُّكِ
فَإِن مَشَت فَخاطِري ... يَسبِقُها كَالمُمسِكِ
أَلحَظُها كَأَنَّها ... مِن بَصَري في شَرَكِ
فَيا جَبينَ السَعدِ لي ... وَيا عُيونَ الفَلَكِ
وَيا بَياضَ العَيشِ في الـ ... أَيّامِ ذاتِ الحَلَكِ
إِنَّ اللَيالي وَهيَ لا ... تَنفَكُّ حَربَ أَهلِكِ
لَو أَنصَفَتكِ طِفلَةً ... لَكُنتِ بِنتَ المَلِكِ

الأنانية

يا حَبَّذا أَمينَةٌ وَكَلبُها ... تُحِبُّهُ جِدّاً كَما يُحِبُّها
أَمينَتي تَحبو إِلى الحَولَينِ ... وَكَلبُها يُناهِزُ الشَهرَينِ
لَكِنَّها بَيضاءُ مِثلُ العاجِ ... وَعَبدُها أَسوَدُ كَالدَياجي
يَلزَمُها نَهارَها وَتَلزَمُه ... وَمِثلَما يُكرِمُها لا تُكرِمُه
فَعِندَها مِن شِدَّةِ الإِشفاقِ ... أَن تَأخُذَ الصَغيرَ بِالخِناقِ
في كُلِّ ساعَةٍ لَهُ صِياحُ ... وَقَلَّما يَنعَمُ أَو يَرتاحُ
وَهَذِهِ حادِثَةٌ لَها مَعَه ... تُنبيكَ كَيفَ اِستَأثَرَت بِالمَنفَعَه

جاءَت بِهِ إِلَيَّ ذاتَ مَرَّه … تَحمِلُهُ وَهيَ بِهِ كَالبَرَّه
فَقُلتُ أَهلاً بِالعَروسِ وَابنِها … ماذا يَكونُ يا تُرى مِن شَأنِها
قالَت غُلامي يا أَبي جَوعانُ … وَما لَهُ كَما لَنا لِسانُ
فَمُرهُموا يَأتوا بِخُبزٍ وَلَبَن … وَيُحضِروا آنِيَةً ذاتَ ثَمَن
فَقُمتُ كَالعادَةِ بِالمَطلوبِ … وَجِئتُها أَنظُرُ مِن قَريبِ
فَعَجَنَت في اللَبَنِ اللُبابا … كَما تَرانا نُطعِمُ الكِلابا
ثُمَّ أَرادَت أَن تَذوقَ قَبلَهُ … فَاستَطعَمَت بِنتُ الكِرامِ أَكلَهُ
هُناكَ أَلقَت بِالصَغيرِ لِلوَرا … وَاندَفَعَت تَبكي بُكاءً مُفتَرى
تَقولُ بابا أَنا دَحّا وَهوَ كُخّ … مَعناهُ بابا لِيَ وَحدي ما طُبِخ
فَقُل لِمَن يَجهَل خَطبَ الآنِيَه … قَد فُطِرَ الطِفلُ عَلى الأَنانِيَه

لعبة

صِغارٌ بِحُلوانَ تَستَبشِرُ … وَرُؤيَتُها الفَرَحُ الأَكبَرُ
تَهُزُّ اللِواءَ بِعيدِ المَسيحِ … وَتُحَيّيهِ مِن حَيثُ لا تَشعُرُ
فَهَذا بِلُعبَتِهِ يَزدَهي … وَهَذا بِحُلَّتِهِ يَفخَرُ
وَهَذا كَغُصنِ الرُبا يَنثَني … وَهَذا كَريحِ الصَبا يَخطِرُ
إِذا اِجتَمَعَ الكُلُّ في بُقعَةٍ … حَسِبتَهُمو باقَةً تُزهِرُ
أَوِ اِفتَرَقوا واحِداً واحِداً … حَسِبتَهُمو لُؤلُؤاً يُنثَرُ
وَمِن عَجَبٍ مِنهُمو المُسلِمونَ … أَوِ المُسلِمونَ هُمُ الأَكثَرُ
فَلاسِفَةٌ كُلُّهُم في اِتِّفاقٍ … كَما اِتَّفَقَ الآلُ وَالمَعشَرُ
دَسَمبِرُ شَعبانُ عِندَ الجَميعِ … وَشَعبانُ لِلكُلِّ ديسَمبِرُ
وَلا لُغَةٌ غَيرَ صَوتٍ شَجِيٍّ … كَرَوضٍ بَلابِلُهُ تَصفِرُ
وَلا يَزدَري بِالفَقيرِ الغَنِيُّ … وَلا يُنكِرُ الأَبيَضَ الأَسمَرُ
فَيا لَيتَ شِعري أَضَلَّ الصِغارُ … أَمِ العَقلُ ما عَنهُمو يُؤثَرُ
سُؤالٌ أُقَدِّمُهُ لِلكِبارِ … لَعَلَّ الكِبارَ بِهِ أَخبَرُ
وَلي طِفلَةٌ جازَتِ السَنَتَينِ … كَبَعضِ المَلائِكِ أَو أَطهَرُ
بِعَينَينِ في مِثلِ لَونِ السَماءِ … وَسِنَّينِ يا حَبَّذا الجَوهَرُ

أَتَتنِيَ تَسأَلُني لُعبَةً ... لِتَكسِرَها ضِمنَ ما تَكسِرُ
فَقُلتُ لَها أَيُّهَذا المَلاكُ ... تُحِبُّ السَلامَ وَلا أُنكِرُ
وَلَكِنَّ قَبلَكَ خابَ المَسيحُ ... وَباءَ بِمَنشورِهِ القَيصَرُ
فَلا تَرجُ سِلماً مِنَ العالَمينَ ... فَإِنَّ السِباعَ كَما تُفطَرُ
وَمَن يَعدَمِ الظُفرَ بَينَ الذِئابِ ... فَإِنَّ الذِئابَ بِهِ تَظفَرُ
فَإِن شِئتَ تَحيا حَياةَ الكِبارِ ... يُؤَمِّلُكَ الكُلُّ أَو يَحذَرُ
فَخُذ هاكَ بُندُقَةً نارُها ... سَلامٌ عَلَيكَ إِذا تُسعَرُ
لَعَلَّكَ تَألَفُها في الصِبا ... وَتَخلفُها كُلَّما تَكبَرُ
فَفيها الحَياةُ لِمَن حازَها ... وَفيها السَعادَةُ وَالمَفخَرُ
وَفيها السَلامُ الوَطيدُ البِناءِ ... لِمَن آثَرَ السِلمَ أَو يُؤثِرُ
فَلوبيلُ مُمسِكَةٌ مَوزَراً ... وَلوبيلُ تُمسِكُها مَوزَرُ
أَجابَت وَما النُطقُ في وُسعِها ... وَلَكِنَّها العَينُ قَد تُخبِرُ
تَقولُ عَجيبٌ كَلامُكَ لي ... أَبِالشَرِّ يا والِدي تَأمُرُ
تَزينُ لِبِنتِكَ حُبَّ الحُروبِ ... وَحُبُّ السَلامِ بِها أَجدَرُ
وَأَنتَ اِمرُؤٌ لا تُحِبُّ الأَذى ... وَلا تَبتَغيهِ وَلا تَأمُرُ
فَقُلتُ لِأَمرٍ ضَلَلتُ السَبيلَ ... وَرُبَّ أَخي ضَلَّةٍ يُعذَرُ
فَلَو جيءَ بِالرُسلِ في واحِدٍ ... وَبِالـ...ـبِ في صَفحَةٍ تُنشَرُ
وَبِالأَوَّلينَ وَما قَدَّموا ... وَبِالآخَرينَ وَما أَخَّروا
لِيَنهَضَ ما بَينَهُم خاطِباً ... عَلى العَرشِ نَصٌّ لَهُ مِنبَرُ
يَقولُ السَلامُ يُحِبُّ السَلامَ ... وَيَأجُرُكُم عَنهُ ما يَأجُرُ
لَصُمَّ العِبادُ فَلَم يَسمَعوا ... وَكُفَّ العِبادُ فَلَم يُبصِروا

زين المهود

يا شِبهَ سَيِّدَةِ البَتو ... لِ وَصورَةَ المَلَكَ الطَهور
نَسّى جَمالُكِ في الإِنا ... ثِ جَمالَ يوسُفَ في الذُكور
زَينُ المُهودِ اليَومَ أَن ... تِ وَفي غَدٍ زَينُ الخُدور
إِنَّ الأَهِلَّةَ إِن سَرَت ... سارَت عَلى نَهجِ البُدور

بِأبي جَبينُ كَالصَبا ... حِ إذا تَهَيَّأ لِلسُفور
بَقِيَت عَلَيهِ مِنَ الدُجى ... تِلكَ الخُيوطُ مِنَ الشُعور
وَكَرائِمٌ مِن لُؤلُؤٍ ... زَيَّنَّ مُرجانَ النُحور
سُبحانَ مُؤتيها يَتا ... نِمَ في المَراشِفِ وَالثُغور
تَسقي وَتُسقى مِن لُعا ... بِ النَحلِ أَو طَلِّ الزُهور
وَكَأَنَّ نَفحَ الطيبِ حَو ... لَ نَضيدِها أَنفاسُ حور
وَغَريبَةٌ فَوقَ الخُدو ... دِ بَديعَةٌ مِن وَردِ جور
صَفراءُ عِندَ رَواحِها ... حَمراءُ في وَقتِ البُكور
قَبَّلتُها وَشَمَمتُها ... وَسَقَيتُها دَمعَ السُرور

الثعلب والديك

بَرَزَ الثَعلَبُ يَوماً ... في شِعارِ الواعِظينا
فَمَشى في الأَرضِ يَهدي ... وَيَسُبُّ الماكِرينا
وَيَقولُ الحَمدُ لِل ... هِ إِلَهِ العالَمينا
يا عِبادَ اللَهِ توبوا ... فَهوَ كَهفُ التائِبينا
وَاِزهَدوا في الطَيرِ إِنَّ ال ... عَيشَ عَيشُ الزاهِدينا
وَاطلُبوا الديكَ يُؤَذِّن ... لِصَلاةِ الصُبحِ فينا
فَأَتى الديكَ رَسولٌ ... مِن إِمامِ الناسِكينا
عَرَضَ الأَمرَ عَلَيهِ ... وَهوَ يَرجو أَن يَلينا
فَأَجابَ الديكُ عُذراً ... يا أَضَلَّ المُهتَدينا
بَلِّغِ الثَعلَبَ عَنّي ... عَن جُدودي الصالِحينا
عَن ذَوي التيجانِ مِمَّن ... دَخَلَ البَطنَ اللَعينا
أَنَّهُم قالوا وَخَيرُ ال ... قَولِ قَولُ العارِفينا
مُخطِئٌ مَن ظَنَّ يَوماً ... أَنَّ لِلثَعلَبِ دينا

ضيافة قطة

لَستُ بِناسٍ لَيلَةً ... مِن رَمَضانَ مَرَّتِ
تَطاوَلَت مِثلَ لَيا ... لي القُطبِ وَاِكفَهَرَّتِ
إِذ اِنفَلَتُّ مِن سُحو ... ري فَدَخَلتُ حُجرَتي
أَنظُرُ في ديوانِ شِع ... رٍ أَو كِتابِ سيرَةِ
فَلَم يَرُعني غَيرَ صَو ... تٍ كَمُواءِ الهِرَّةِ
فَقُمتُ أُلقي السَمعَ في ... السُتورِ وَالأَسِرَّةِ
حَتّى ظَفِرتُ بِالَّتي ... عَلَيَّ قَد تَجَرَّتِ
فَمُذ بَدَت لي وَاِلتَقَت ... نَظرَتُها وَنَظرَتي
عادَ رَمادُ لَحظِها ... مِثلَ بَصيصِ الجَمرَةِ
وَرَدَّدَت فَحيحَها ... كَحَنَشٍ بِقَفرَةِ
وَلَبِسَت لي مِن وَرا ... ءِ السِترِ جِلدَ النَمِرَةِ
كَرَّت وَلَكِن كَالجَبا ... نِ قاعِداً وَفَرَّتِ
وَاِنتَفَضَت شَوارِباً ... عَن مِثلِ بَيتِ الإِبرَةِ
وَرَفَعَت كَفّاً وَشا ... لَت ذَنَباً كَالمِدرَةِ
ثُمَّ اِرتَقَت عَنِ المُوا ... ءِ فَعَوَت وَهَرَّتِ
لَم أَجزِها بِشِرَّةٍ ... عَن غَضَبٍ وَشِرَّةِ
وَلا غَبيتُ ضَعفَها ... وَلا نَسيتُ قُدرَتي
وَلا رَأَيتُ غَيرَ أُمٍّ ... بِالبَنينَ بَرَّةِ
رَأَيتُ ما يَعطِفُ نَف ... سَ شاعِرٍ مِن صورَةِ
رَأَيتُ جِدَّ الأُمَّها ... تِ في بِناءِ الأُسرَةِ
فَلَم أَزَل حَتّى اِطمَأَنَّ ... جَأشُها وَقَرَّتِ
أَتَيتُها بِشَربَةٍ ... وَجِئتُها بِكِسرَةِ
وَصُنتُها مِن جانِبي ... مَرقَدِها بِسُترَتي
وَزِدتُها الدِفءَ فَقَر ... رَبتُ لَها مِجمَرَتي
وَلَو وَجَدتُ مِصيَداً ... لَجِئتُها بِفَأرَةِ
فَاِضطَجَعَت تَحتَ ظِلا ... لِ الأَمنِ وَاِسبَطَرَّتِ

وَقَــــرَأَت أورادَهــــا   وَمــا دَرَت مــا قَـرَتِ
وَسَـرَحَ الصِـغارُ فـي   ثَديِهـا فَـدَرَّتِ
غُـرُّ نُجـومٍ سُـبَّحُ   في جَنَـباتِ السُـرَّةِ
إِخـتَلَطـوا وَعَيَّـثوا   كَـالعُمي حَـولَ سُـفرَةِ
تَحسَـبُهُم ضَـفادِعـاً   أَرسَـلتَها في جَـرَّةِ
وَقُلـتُ لا بَـأسَ عَـ ـى   طِفلِـكِ يـا جُوَيـرَتي
تَمَخَّضـي عَـن خَمسَـةٍ   إِن شِـئتِ أَو عَـن عَشـرَةِ
أَنـتِ وَأَولادُكِ حَتـ   ـى يَكـبُروا في حُفـرَتي

نديم الباذنجان

كـانَ لِسُـلطانٍ نَديـمٌ وافِ   يُعيدُ مـا قـالَ بِـلا اِختِـلافِ
وَقَـد يَـزيدُ في الثَنا عَلَـيهِ   إِذا رَأى شَـيئاً حَـلا لَدَيـهِ
وَكـانَ مَـولاهُ يَـرى وَيَعلَـمُ   وَيَسمَعُ التَملـيقَ لَكِـن يَكـتُمُ
فَجَلَسـا يَومـاً عَـلى الخِـوانِ   وَجـيءَ في الأَكـلِ بِـباذِنجانِ
فَـأَكَلَ السُـلطانُ مِـنهُ مـا أَكَـل   وَقـالَ هَـذا في المَذاقِ كَالعَسَـل
قـالَ النَـديمُ صَـدقَ السُـلطانُ   لا يَسـتَوي شَـهدٌ وَباذِنجـانُ
هَـذا الَّـذي غَـنى بِـهِ الرَئـيسُ   وَقـالَ فـيهِ الشِـعرَ جالينـوسُ
يُذهِـبُ أَلـفَ عِلَّـةٍ وَعِلَّـه   وَيُـبرِدُ الصَـدرَ وَيَشـفي الغُلَّـه
قـالَ وَلَكِـن عِـندَهُ مَـرارَه   وَمـا حَمِـدتُ مَـرَّةً آثـارَه
قـالَ نَعَـم مُـرٌّ وَهَـذا عَيـبُه   مُـذ كُنـتُ يـا مَـولايَ لا أُحِـبُّه
هَـذا الَّـذي مـاتَ بِـهِ بُقـراطُ   وَسُـمَّ في الكَـأسِ بِـهِ سُـقراطُ
فَاِلتَفَـتَ السُـلطانُ فـيمَن حَولَـهُ   وَقـالَ كَـيفَ تَجِـدونَ قَولَـه
قـالَ النَـديمُ يـا مَلـيكَ النـاسِ   عُـذراً فَمـا في فِعلَـتي مِـن بـاسِ
جُعِلـتُ كَـي أُنـادِمَ السُـلطانا   وَلَـم أُنـادِم قَـطُّ باذِنجـانا

أنت وأنا

يَحكونَ أنّ رَجُلاً كُرديّا ... كانَ عَظيمَ الجِسمِ هَمشَرِيّا
وكانَ يُلقي الرُعبَ في القُلوبِ ... بِكَثرَةِ السِلاحِ في الجُيوبِ
وَيُفزِعُ اليَهودَ وَالنَصارى ... وَيُرعِبُ الكِبارَ وَالصِغارا
وكُلّما مَرّ هُناكَ وَهُنا ... يَصيحُ بِالناسِ أنا أنا أنا
نَمى حَديثُهُ إلى صَبِيٍّ ... صَغيرِ جِسمٍ بَطَلٍ قَوِيٍّ
لا يَعرِفُ الناسُ لَهُ الفُتُوّه ... وَلَيسَ مِمّن يَدّعونَ القُوّه
فَقالَ لِلقَومِ سَأُدريكُم بِهِ ... فَتَعلَمونَ صِدقَهُ مِن كِذبِه
وَسارَ نَحوَ الهَمشَرِيّ في عَجَل ... وَالناسُ مِمّا سَيكونُ في وَجَل
وَمَدّ نَحوَهُ يَميناً قاسِيَه ... بِضَربَةٍ كادَت تَكونُ القاضِيَه
فَلَم يُحَرّك ساكِناً وَلا اِرتَبَك ... وَلا اِنتَهى عَن زَعمِهِ وَلا تَرَك
بَل قالَ لِلغالِبِ قَولاً لَيّنا ... الآنَ صِرنا اِثنَين أنتَ وَأنا

الهـوامـش

١- راجع : ترجمة عن حياة أحمد شوقي وآثاره : سيد صديق عبد الفتاح، نثريات أحمد شوقي ، خواطره ، حكمه ، محاوراته ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٧م ، ص١٥ وما بعدها ، وشوقي ضيف : الأدب العربي المعاصر في مصر،دار المعارف، ط١٠، ١٩٩٢م، ص١١٠وما بعدها.

٢- محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ط٣، ١٩٧٧م ، ص١٣٥.

٣- السابق ، ص١٨٥، ١٨٦ .

٤- السابق ، ص ١٧٧، ١٧٨ .

٥- راجع : على عشرى زايد ، دراسات نقدية فى شعرنا الحديث ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، ط٢، ١٤٢٣هـ ،٢٠٠٢م ، ص١٢٧، ١٢٨.

٦- راجع : على الحديدى ، فى أدب الأطفال ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٦، ١٩٩٠م ، ص٢١٢ ، حنان عبد الحميد العنانى ، أدب الأطفال ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٦م ، ص١٤.

٧- عبد الله بن المقفع ، كليلة ودمنة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٣٤م، ص٣٠، ٣١.

٨- عبد الرحمن صدقى، المجلة، العدد الرابع والعشرون، ديسمبر ١٩٥٨م، أحمد شوقى أطوار شبابه فى شعره ، ص٨٢، ٨٣ . وقد اتفق دكتور على الحديدى مع هذا الرأى وعد أحمد شوقى رائد أدب الأطفال فى العصر الحديث وعلق على ذلك بقوله :

" قبل أن يكتب " شوقى " حكاياته ترجم محمد عثمان جلال كثيرا من حكايات لافونتين فى كتابه " العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ " فى شعر عربى مزدوج القافية ، وكانت ترجمته حرة لم يتقيد فيها بالأصل، وحاول تمصير الحكايات العامية فى صورة زجل ، وبعده ألف " إبراهيم

العرب " نظما كتاب خرافات على لسان الحيوان سماه (آداب العرب) وسار فيه على طريقة لافونتين ، لكن هذين الأديبين لم يكتبا حكاياتهما للأطفال بل كتباها للكبار ؛ ومن ثم تخرج عن مجال أدب الأطفال الذى يكتب ابتداء لهم " ، فى أدب الأطفال ، ص٣٤٧ وما بعدها .

٩- حقق الشعر عامر محمد بحيرى ، العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

١٠- راجع : أحمد سويلم ، أطفالنا فى عيون الشعراء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢م ، ص١٥٧، ١٦٣، ١٦٤.

١١- راجع : شوقى ضيف ، الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٧م ، ص١٩٤. عبد الرازق حميدة ، قصص الحيوان فى الأدب العربى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٩ م، ص٢٠٣. نفوسة زكريا سعيد ، خرافات لافونتين فى الأدب العربى، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، د. ت. ، ص٢٥٠.
La Fontaine. Fables, Edition annotee pr L. Clemant. Paris 1936.

١٢- راجع : شوقى ضيف ، شوقى شاعر العصر الحديث ، دار المعارف ، ط٧، ١٩٧٧م ، ص٨٧، ٨٨.

١٣- راجع : السابق ، ص٩٧.

١٤- راجع : السابق ، ص٩٥ وما بعدها ، أنس داوود ، رواد التجديد فى الشعر العربى الحديث ، مكتبة عين شمس ، ١٩٧٥م ، ص٢٨، ٢٩.

١٥- راجع: عبد الرازق حميدة ، قصص الحيوان فى الأدب العربى، ص٢٥ وما بعدها. نفوسة زكريا سعيد ، خرافات لافونتين فى الأدب العربى ، ص٣، ٥.

١٦ - أحمد سويلم ، أطفالنا فى عيون الشعراء ، ص١٥٨ وما بعدها، راجع: أحمد زلط ، أدب الطفل العربى دراسة معاصرة فى التأصيل والتحليل ،

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية، ط٢، ١٩٩٨م، ص٨٨ .

١٧- حلمي علي مرزوق ، شوقي وقضايا العصر والحضارة ، دار المعارف، مصر ، ١٩٧٦م ، ص١٠٨.

١٨- راجع : عزيز السيد جاسم ، دراسات نقدية في الأدب الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥م ، ص١٩.

١٩- راجع : حديث علي أحمد شوقي ، أحمد شوقي حياته وشعره ، المكتبة الحديثة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١، ١٩٨٧م ، ص ١٥، ١٦.

٢٠- الشوقيات ، جـ٤، ص٩٣.

٢١- السابق : جـ ٤، ص١٢٠.

٢٢- الشوقيات المجهولة ، جـ٢ ، ص٢٣٣، وقد نشرت بالمعرفة عدد يونيه ١٩٣٢م، وقد علق محمد صبري السربوني على عنوان القصيدة قائلا: " لا أدري لماذا لم يقل شوقي حارس المنار والدلفين بدلا من دلفين .. وقد ذكر البحتري الدلفين في قصيدة البركة قال يصف السمك :

صور إلى صورة الدلفين يؤنسها   منه انزواء بعينيه يوازيها

وجاء في " معجم الحيوان " لأمين معلوف : التخس والدخس (بضم التاء أو الدال وفتح الخاء) ، Dolphin (بالإنجليزية) دلفين (يونانية معربة) جنس من الحيتان الصغيرة طوله نحو عشرة أقدام . زعم القدماء أنه ينجي الغريق ، كنيته في البحر الأحمر (أبو سلام) .

وجاء في " اللسان " (مادة دلفين) إن الدلفين دابة بحرية قيل إنها تنجي الغريق (معرب) ومرادفه في العربية الدخس كصرد . وجاء في مادة (الدخس) أنها دابة تنجي الغريق تمكنه من ظهرها ليستعين على السباحة وتسمى (الدلفين) . وجاء في قاموس (لاروس) الفرنسي الكبير أن الدلفين من فصيلة آكلة اللحوم وأنه في

العصور الوثنية القديمة كان يعتبر صديقا للإنسان . وكانوا يزعمون أنه أنقذ الكثير من الغرق .. وكان الفنانون القدماء يصورون النفوس الطيبة مستعلية على الدلفين ماخرة في العباب إلى جزر السعادة والهناء " .

٢٣- الشوقيات : جـ ٤، ص١١٢ وما بعدها .

٢٤- السابق ، جـ ٤، ص١٠٨.

٢٥- السابق ، جـ٤ ، ص١٢٥.

٢٦- السابق ، جـ ٤، ص١١٦.

٢٧- السابق ، جـ٤ ، ص٧٧.

٢٨- السابق ، جـ ٤ ، ص١٢٠ .

٢٩- السابق ، جـ٤، ص١٢١، وراجع : حكاية الخفاش ومليكة الفراش ، جـ٤، ص١٠٣.

٣٠ - السابق ، جـ ٤ ، ص١٠٩ .

٣١ - السابق ، جـ٤، ص١٢٢.

٣٢- السابق ، جـ٤، ص٨٩.

٣٣- راجع: حسين شوقي ، أبي شوقي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ١٩٤٧م ، ص١٥٥،١٥٦.

٣٤- الشوقيات ، جـ٤، ص١٢٣.

٣٥- السابق ، جـ٤ ، ص١١٠.

٣٦- السابق، جـ٤ ، ص١١١.

٣٧- السابق ، جـ٤، ص١٢٤.

٣٨- السابق ، جـ٤ ، ص١٢٤، وراجع : الثعلب الذى انخدع ،جـ٤، ص ١٢٣.

٣٩- السابق ، حكاية الثعلب والأرنب والديك ، جـ٤ ، ص١٢٦.

٤٠- السابق ، جـ٤ ، ص١٣١.

٤١- السابق ، جـ٤ ، ص١٢١ .

٤٢- السابق ، جـ٤ ، ص١٠٢.

٤٣- السابق ، جـ٤ ، ص٩٢.

٤٤- محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ، ص١٩١. وراجع : أنس داوود، رواد التجديد في الشعر العربي الحديث ، ص٩١ وما بعدها .

٤٥- الشوقيات المجهولة جـ ٢، ص١١٩، الشوقيات ، جـ١ ، ص١٣٨، وراجع: طه وادى ، شعر شوقي الغنائي والمسرحي ، دار المعارف ، ط٢ ، ١٩٨١م ، ص٣٣٨. وقد سماها (بلبل في الأسر) .

٤٦- الشوقيات المجهولة ، جـ٢ ، ص٦١.

٤٧- السابق ، جـ٢ ، ص٨٠،٨١ .

٤٨- الشوقيات ، جـ٤ ، ص٩٧.

٤٩- السابق ، جـ٤ ، ص١٠٥.

٥٠- اعتمد البحث على ديوان شوقي (الشوقيات) دار الكتب العلمية ، بيروت ، و(الشوقيات المجهولة) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠٣م.

٥١- أنس داوود ، رواد التجديد في الشعر العربي الحديث ، ص٩٣.

٥٢- الشوقيات : جـ٤ ، ص٩١. وراجع : أمة الأرانب والفيل ، جـ٤، ص ١٠٢ ، البلابل التي رباها البوم جـ٤ ، ص٩٢ ، الأفعى النيلية والعقربة الهندية ، جـ٤ ، ص٩٤، فأر البيت وفأر الغيط جـ٤ ، ص٩٥، النملة الزاهدة ، جـ٤ ،ص١١٨.

٥٣- نفوسة زكريا ، خرافات لافونتين في الأدب العربي ، ص٨٥.

٥٤- الشوقيات ، جـ٤، ص١٠٨.

٥٥- السابق ، جـ٤ ، ص١١٨.

٥٦- الشوقيات ، جـ ٤، ص١١٩ .

٥٧- السابق : جـ ٤، ص١٢٠.

٥٨- السابق : جـ ٤ ، ص١٠٦ .

٥٩- السابق : جـ ٤، ص١٠٣ .

٦٠- أحمد شوقي حياته وشعره ، ص٢٣.

٦١- السابق ، ص٢٥ وكلمة (مقصورة) التي وردت في النص هي في الأصل (قاصرة) تم إبدالها لما فيها من خطأ .

٦٢- أحمد سويلم العمري ، أدب شوقي في السياسة والاجتماع ، دراسات مقارنة، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢م ، ص٦٦،٦٧.

٦٣- راجع : نشأت العناني ، فن السخرية في أدب الجاحظ ، مطبعة السعادة ، ط١ ،١٩٨٠م ، ص٢١، إبراهيم عبد القادر المازني ، حصاد الهشيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩م ، ص٣٠٩ وما بعدها.

٦٤- فخري أبو السعود ، في الأدب المقارن ومقالات أخرى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧م ، ص٦١.

٦٥- الشوقيات ، جـ٤ ، ص٩٨، وراجع ، الحمار في السفينة ،جـ٤، ص١١٧.

٦٦- طه وادي ، شعر شوقي الغنائي والمسرحي . ص٣١.

٦٧- العقاد ، روح الفكاهة عند شوقي ، مقال ، مجلة الهلال ، أول نوفمبر، ١٩٦٨م ، ص٥٢. وراجع : شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ١٩٧٣م ، ص١٥٥ وما بعدها.

٦٨- الشوقيات ، ص١٤٨ وما بعدها ، والشوقيات المجهولة ، ص١٩١، ١٩٢، ٢٤٢، ٢٧٥، ٢٧٧، مصطفى الرفاعي ، في رحاب شوقي ، مطبعة الانتصار، الإسكندرية ، ١٩٩٦م ، ص١٩٨، من القصائد الفكاهية الأخرى أربعون قصيدة ومقطوعة في " عام الكف " : الشوقيات المجهولة ، جـ١ ، ٢٨٣ :٢٩٣ ، جـ٢ ، ص٣٠.

٦٩- ابن سينا ، والرئيس : كناية عن الدكتور محجوب نفسه .

٧٠ـ العقاد ، مطالعات في الكتب والحياة، دار الفكر، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م ، ص٨٩.

٧١ ـ العقاد ، ساعات بين الكتب ، ص٣٦٨.

٧٢ـ شوقي ضيف ، الفكاهة في مصر ، دار المعارف ، سلسلة اقرأ ، ع١٠، ١٩٤٣م ، ص١٢، ١٣.

٧٣ ـ راجع : نشأت العناني ، فن السخرية في أدب الجاحظ ، ص١٧٠: ٢٤٥.

٧٤ـ توفيق الحكيم ، فن الأدب ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٧م، ص٣١، ٣٢ ، وراجع : هنري برجسون ، الضحك ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص٢٨، ٢٩ ، محمد عناني ، فن الكوميديا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م ، ص٢٨، ٢٩.

٧٥ـ راجع : محمد مصطفى هدارة ، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، المكتب الإسلامي ، ط١ ، ١٩٨١م ، ص٤٦١.

٧٦ـ الشوقيات ، جـ٤ ، ص٩٨ ، ١٠٠. الشوقيات المجهولة ، جـ١، ص ٢٢١ ، وقد نشرها بالمجلة المصرية ٣١ يوليه ١٩٠٠م .

٧٧ـ راجع : أنس داوود ، رواد التجديد في الشعر العربي الحديث ، ص ٨٧، ٨٨.

٧٨ـ الشوقيات المجهولة ، جـ١، ص٢٤١. وقد نشرها بالمجلة المصرية ١٥ مارس ١٩٠١م .

٧٩ـ أحمد زلط ، أدب الطفل العربي دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل، ص١٨٨.

٨٠ـ من هذه الأخطاء " صرصار بدلا من صرصور ، وحماس بدلا من حماسة، واستخدامه كلمات مثل دحا وكخ " .

٨١ـ راجع . علي الحديدي ، في أدب الأطفال ، ١٥٣ وما بعدها .

٨٢ـ نفوسة زكريا سعيد ، خرافات لافونتين في الأدب العربي، ص٨٩.

٨٣- راجع : أحمد سويلم العمرى ، أدب شوقى فى السياسة والاجتماع، دراسات مقارنة ، ص٩٢.

٨٤- حسن شحاته ، أدب الطفل العربى ، دراسات وبحوث ، ص٢٢.

٨٥- راجع : شوقى ضيف ، شوقى شاعر العصر الحديث ، ص٤٤:٤٦.

٨٦- راجع: عز الدين إسماعيل ، الشعر العربى المعاصر ، ط٢، دار العودة، بيروت ، ص٨٠ ، عز الدين منصور ، دراسات نقدية ونماذج حول بعض قضايا الشعر المعاصر ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م ، ص١٨.

٨٧- س . موريه ، الشعر العربى الحديث ، ١٨٠٠ :١٩٧٠، تطور أشكاله وموضوعاته بتأثير الأدب الغربى ، ترجمه وعلق عليه : شفيع السيد وسعد مصلوح ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٨٦م ، ص٨٦.

الفهـرس

الموضـوع	الصفحة
مقدمة	٥
١ـ أحمد شوقى حياته وشعره	٩
٢ـ مدخل فى حكايات الحيوان	٢٥
٣ـ قيم خلقية	٣٧
٤ـ هموم الوطن	٥١
٥ـ صوغ الحكاية والحكمة	٦١
٦ـ السخرية	٦٩
٧ـ أدوات التشكيل	٧٩
٨ـ من ديوان الأطفال لشوقى	٨٧
الهوامش	٩٩
الفهرس	١٠٩

تم بحمـد الله

مـع تحـيات
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
تليفاكس: ٥٢٧٤٤٣٨ - الإسكندرية